SERGE DAIRAINES
Docteur en droit
Ancien élève de l'Ecole des Sciences Politiques
et de l'Ecole du Louvre.

UN SOCIALISME D'ÉTAT QUINZE SIÈCLES AVANT J.-C.

L'Égypte Economique Sous La XVIIIe Dynastie Pharaonique



(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)





UN SOCIALISME D'ÉTAT
QUINZE SIÈCLES AVANT J.-C.

SERGE DAIRAINES
Docteur en droit
Ancien élève de l'Ecole des Sciences Politiques
et de l'Ecole du Louvre.

L'Égypte Economique Sous La XVIIIe Dynastie Pharaonique



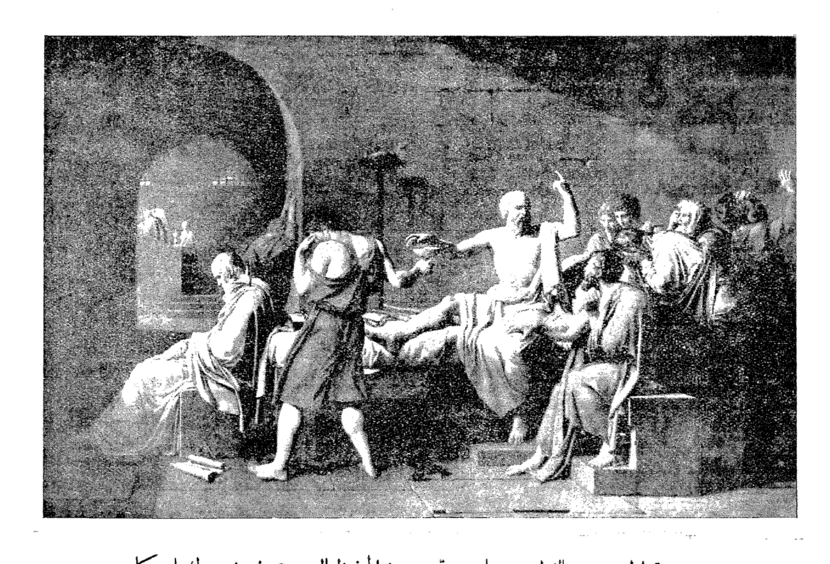
(مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر)



شجرة الجميز المقدسة (عند قدماء المصريين) تخرج منها نوت إلهة السماء وهى تقدم للميت
وروحه (على شكل طير برأس آدمى) الخبز وماء الحياة الابدية
(راجع صفحة ۹۲ من هذا الكتاب) نقلا عن :
E.A.W. Budge, the Gods of the Egyptians, Vol. II.

مطبعة بول باربيه





موت سقراط . رسم جاك لويس داود سنة ١٧٨٧ المحفوظ اليوم بمتحف نيويورك بامريكا

اهدى الينا حضرة الشاعر الشهير ، والصديق الوفىّ حسن افندى الدرس الأبيات الآتية ، فى سقراط الفيلسوف اليونانى (١) ، الذى كان على فراش الاحتضار ، يناجى عشيرته ، حال تناوله كأس السموم (تنفيذاً لحكم الاعدام عليه بهذه الصورة بشجاعة وابتسام) انتقاما منه لصراحته فى آرائه الفلسفية

أَلْحَقُّ لِلأَلْبَابِ أَصْدَقُ قِيلاَ ... لَـكِنْ خُصُومِى أَفْسَدُوا التَّأْوِيلاَ

عنىّ افتَرَوْا سُوءَ المَقاصِدِ واكْتَرَوْا ... مَنْ أشبعوهُ رَذِيلَةً وَفُضُولا

صارحتهم بالاْقتِرَاعِ إن ابْتَغَوْا ... حَكَماً يَكُونُ الى الصَّوَابِ دَليلا

وبأَنْ يعيشوا فى الحياة كأُخوةٍ ... تَتَقَاسَمُ الاعمالَ والمحصولا

فَتَأَلَّبَتْ أَرْهَاطُهم لِاُسَاءَتِى ... بل قرَّروا أنِّى أموتُ قتيلا

قِيلَ اتَّخِذْ لِيسياسَ عنكَ مُحامياً ... والحقُّ حَاشَا أَنْ يكونَ ضئيلا

قيل الفرارُ بِهِ النَّجاةُ وهَلْ أرَى ... عَاراً سِوَاهُ عَلى النفوس ثقيلا

شَرَفُ الشَّجَاعَةِ والثَّباتُ أبرُّ لى ... سَيلقِنُ الخلفُ القُضَاةَ فصُولا

والموتُ يَصْرَعُ كلَّ حىٍّ فلأَمُتْ ... مَوْتَ الكرَامِ ولَنْ أعيشَ ذَليلا

يا أيها الانسانُ فاعْرِفْ نَفْسكَ الْـــكبْرَى لِتُدْرِكَ بَعْدَ ذَا المأمُولا

مَوْتِى يُعلِّمُكُم فَضِيلَةَ مَذْهَبِى ... فَلْتَدْرُسُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلا

واليكَ أفلاطونُ خيرَ وصيّتى ... فارْحل الى مصر وحيِّى النيلا

بلدٌ هوَ الوطنُ الرحيبُ بأهله ... وَبِعَدْلِهِمْ كَمْ يُكرِمُونَ نَزِيلا

فِيهَا تَرَى الشعبَ الوَدِيعَ مُسَالِماً ... وَلِمَا تَقُومُ بِهِ تَرَاهُ كَفيلا

---

(١) ولد سقراط سنة ٤٦٨ ق . م . ومات سنة ٤٠٠ ق . م .

والى بَنىَّ وللرّفاق وأُسْرَتِي ... أُسْدِى الوَدَاع فقد أَزِفَتْ رَحيلا

إن الحيَاةَ تَغرُّ فى احلامها ... مَن عاش فيها هائما مشغولا

لم أنزعج للحكم لكن أنتمو ... جزعونَ فازْدَدْتُم أسًى ونحولا

بيدالصديق أسغتُ كأس تسممى ... وَلِشُكرِهِ قبلتُهَا تَقْبيلا

وَالنفس للبارى تَطيرُ تشوقًا ... وبِهِ تَنَالُ الى النعيمِ وصولا



رسم للنيل من القرن الأول للمسيح

والأصل من النسيج الملون ومحفوظ اليوم بمتحف موسكو

(نقلا عن كتاب)

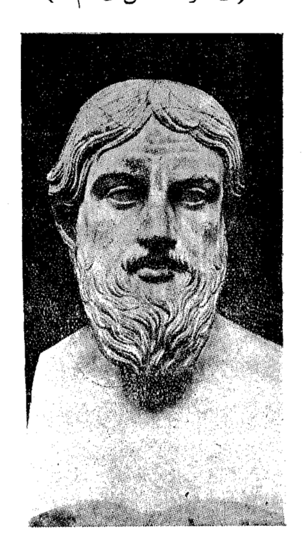
GOLENISCHEFF, RESULTATS ARCHEOLOGIQUES

سيظهر قريبا

تاريخ مصر القديم

لهيرودوت

﴿ فى القرن الخامس ق . م . ﴾



ترجمه ونمق حواشيه وانتقى صوره

انطون زكرى

أمين دار كتب المتحف المصرى



كلمتى لحضرات القراء

أتقدم بهذا الكتاب أثراً تاريخيا تأليف الاستاذ القدير « سرج ديرن » (Serge Dairaines) دكتور بالحقوق ، وخريج مدرسة العلوم الاقتصادية ، ومدرسة اللوفر . وهو فريد فى نوعه ، لتضمنه حقائق لم تأت بها المؤلفات الاخرى عن تواريخ مصر القديمة ، وفى مباحثه ايضاح كاف لتطورات الهيئات الحكومية فى تلك العصور ، لأن العدل ونشر المساواة كانا وجهة الجميع ، مهما تنوعت الألقاب الثمينة للأدوار الحكومية . . ؟

أنطون زكرى

« الحق راسخ فى الضمائر والاذهان أكثر مما »
« يتصور، ولكن السعى فى انتصاره بطئ، والجهر »
« به ضعيف ، وبقوة تأثيره فى الافكار عند القدماء ، »
« استطاعوا اخراج الذهب من الطين ، واظهار »
« الماس من المعدن ، والاتيان بالنور من الظلام »

ليبنتز



رسم لعروس النيل (أى أرض مصر رمز لازيس زوجة ازوريس)
من القرن الأول للمسيح والأصل من النسيج الملون
المحفوظ اليوم بمتحف بتروجراد
(نقلا عن كتاب)
Bock , sur l' art copte .



مقدمة المؤلف

أصبح الناس فى شواغلهم وحصر أوقاتهـم فى اغراض معينة ، لايميلون لاجهاد أفكارهم وصرف زمانهـم فيما لا يرونه عظيم الجدوى . لذلك نعتقد أن كثيراً من الناس يلوموننا ، ويندهشون عند علمهم بأننا نعود الى استذكار دروس ماضيـة عن مصر القـديمة . ونحن نبرأ من تصورات كهذه ، جازمين بأن فى الرجوع الى اسـتذكارات أدبية عن الأجيال الماضية ، نوعا من التسلية للنفس ، والتخفيف من الملل والكدر اللذين يحوطان بنا . فالحوادث العصرية الشّاغلة لنا عن كل شئ كلها شراهيّة لجمع المال ، وتوغل في الـكبرياء ، وتطوّح لاسـباب البغضاء والاحقاد ، والرجوع للماضيات فيه صرفٌ للذهن عن الاكدار نوعا مّا.

ومن يتخلى عن الغرض فى نقد الأحوال الحاضرة ، يجدها مظاهر وظروف تستدعى الانقباض والحزن ، ولا تدعو الى السرور والانشراح .

كان المترنمون بمزايا التطورات العصرية وفضائل الاختراعات يزيّنونها بمحسنات خيالية ، معتقدين أن أنواع السعادة ستعم سائر الطبقات بالرغد والرفاهية ، وزيادة الثروة ، وسـعة الوقت ، تمكّن الناس من التمتع بكل ما يرتاحون اليه .

ولـكن جاءت حقائق الحال مفنّدة لـكل هذه المدعيات . مثال

ذلك أنهم كانوا يتوقعون من اختراع الآلات الصناعية أنها تحدث تحسينا عاما فى نمو الثروة ، ووقتا من الفراغ لرياضة النفس وهناءها . فلم ينتج منها سوى ضرر أليم بتعطيل كثير من العمال عن مباشرة الصنائع ، التى كانت موضع ارتزاقهم وتعيّش عائلاتهم ، وخشيت الحكومات عاقبة أمرهم ، فاضطرت لبذل المعاونات الخيرية الوقتية تخفيفا لآلام الحياة ، ولم تزدد موارد الثروة لاولئك الأغنياء بقدر ما كانوا يطمعون ، ولم تتغير ساعات الزمن بفراغ وهناء ، بل تسلط جوُّ الاكدار فى أفق الوجود بما جعل المفكرين فى حيرة من الأمر .

فالآلة الصناعية ساعدت في نقص ساعات العمل ، ولكنها حصرت الفائدة المادية في أشخاص مؤسسى الشركات وأرباب الاسهم المالية ، ولم تحدث تخفيضا فى أسعار الحاجيات . فالضرر محقق منها لجماهير المستهلكين (الذين لم يشهدوا تفاوتا يذكر في أسعار المنتجات عن مقاديرها الأولى) ولم تتحرك الشهامة بعواطف الرأفة في نفوس أولئك الأغنياء الذين استرسلوا فى مطامع الكسب ، وغضُّوا أبصارهم عن حالة العمال البؤساء الذين يتعرضون للجوع والفاقة ، وقد تلجئهم ظروفها لجرائم تزيد حياتهم تعاسة ، وعائلاتهم فاقة وضنكا ، فالانسانية فى واقع الأمر تستغيث من الانسان .

وكان اللائق بالعدل الطبيعى أن من اختصوا أنفسهم بوفرة الارباح يتحملون جانبا من المساعدة الفعلية لأولئك البؤساء ، لا أن يقتصروا فى ميسرتهم على امتلاء خزائنهم وترك ألوف من العمال عرضة لفتك المجاعة ، وعجزهم عما اعتادوه لتجميل مظاهرهم وحفظ أجسامهم وراحة

عائلاتهم ، ولكن أصحاب الأموال قصروا مجهوداتهم الفكرية وقوتهم الفطرية على رغائبهم الخاصة ، ولم يبذلوا فى الصالح المجتمع ما يتكافأ بمظاهرهم الزاهرة الواسعة وتمتعهم بالأموال الطائلة .

يتناشدون بأغانى الاقتصاد ويترنمون بموارد الثروة ، ويتغافلون عن أن سعة الدنيا أوجدها الله ليشترك فى نعيمها ذوو اليسار وأرباب الاستطاعة . والأديان تأمرهم بالرفق والعطف على الضعفاء ومساعدة المساكين ، وان من معانى الاقتصاد وأقوى وسائله العمرانية ، تضامن الطبقات تضامنا مبنيا على الاعتقاد بمسؤولية الجميع امام الجمهور . فأرباب الاقتدار فى حركة الاشغال يجب أن يمدوا بمواهبهم من لا يستطيعون الى ذلك سبيلا ، لتعم المنافع جميع الأهالى . مثال ذلك اننا نجد فى البلاد الفضية (ارجنتين بأمريكا) وأوستراليا وكندا كثيراً من الغلال ، وفى البرازيل كثيراً من البن ، وفى الهند كثيراً من الفول السوداني ، وفي بلاد تونس كثيراً من الزيتون . وأصحاب تلك المحاصيل لا يستطيعون نقلها الى الاماكن التى يكون لها فيها ارتفاع الأسعار وسرعة الرواج . وكثيراً ما يعتريها التلف بتركها متراكمة فوق بعضها ، حتى تصبح غير صالحة لتداولها القومى ، ويصبح ملاكها عاجزين عن كسب القوت . وقد أدّت هذه الحالة المحزنة الى عدم الرغبة فى الاعتناء بتنمية المحاصيل ، فأخذت كمياتها في التناقص بقدر ما ازدادت الفاقة تسلطا على أولئك العمال.

هذا المآل التعيس والمصير السيء يجب أن يحرك اليقظة والاهتمام فى نفوس العظماء ، فهم يستطيعون بقوة المال وسعة الادارة ، تكوين شركات لمشترى هذه المحاصيل ، وتصديرها الى الجهات المعلومة لديهم ،

فيربح الأغنياء من هـذه الصفقة التجارية فوائد كبرى تحتم عليهم بذل المساعـدة المادية لأرباب هـذه المحاصيل لسـد المجاعـة وأداء الحاجيات ، وتشجيعا لهـم على تنمية الغرس واجتناء أجزل الثمرات ، وميسور للأغنياء بلا مشاحة ايجاد مصانع تليق فى كل بلد بحالة أهلها ، تخفيفا للضائقة المالية التى يشتـكى منها العالم أجمع فى السنوات الحاضرة. فالمجتمع الانسانى عائلة واحدة لا محيص عدلا لاقويائها عن مساعدة ضعفائها.

وما نطالب به جماهير العظماء والأغنياء ، نوجه جانبا مثله الى فريق الحكام الذين يفاخرون بازدياد المحاصيل ، بدون نَظَر الى توزيع العدالة في جعل ما يجبى لجانب الحـكومة ، على نسبة صادقة من الأرباح التجارية للماليين ، ونسبة رحيمة عـلى كمية المحاصيل ، تطابق الناتج الفعلى من كل شئ بدون التعويل على تقـدير مطلق فى ربط الضرائب تقـديراً غـير مؤسس على فحص استطاعة الأفراد .

ونتوقع أن يكون قـد اقترب الوقت لتيقظ الطوائف المسيطرة بنفوذها المالى على الينابيع الاقتصادية ، فتشعر ضمائرهم القاسية بما عليهم من الواجبات لطبقات العمال ، الذين أصبحوا بغطرسة الأغنياء وكبريائهم هدفا للفاقة والمؤلمات الجسدية والنفسية . فالمحبـة والعدالة والانسانيـة قواعد أمرت بها الأديان جميع بنى الانسان فى أدوار حياتهـم . ومن الجحود لنعماء الله بخل الأغنياء بما فى أعناقهم من الواجبات ، وبسطة اليـد لاغاثة المحتاجين وجماهير العاطلين : فالأغنياء مطالبون بذلك بين يدى العدالة وامام الخالق سبحانه .

والاشخاص المتمتعون بوفرة الأموال، الحائزون بمقتضاها على امتيازات

شاذة ، كانوا يظهرون التأفف من أشراف الحكومة على شؤونهم المالية، ولكن بعد التطور الاقتصادى الذي ظهرت مضاره بتكاثر العاطلين واستحكام الأزمات المالية العامة ، أصبحوا يتزلفون لدى الحكومة ، ويتطلبون مساعدتها فى حفظ ثروتهم ونفوذهم كأنهم تناسوا أن قيامهم بالعلاج الفعال الذي ترشد اليه عدالة النواميس الطبيعية تجعلهم في مأمن من كل خطر ، فترتاح نفوسهم من هواجس الانزعاج ،وتنتشر الطمأنينة حتى بين الأوساط الفقراء . والتعديل فى الرغائب الاقتصادية ، والعناية بتقدم العواطف على المطامع ، يوصلان الى ثمرات مشكورة ، تقرب آمال العاطلين ، وتخفف ويلاتهم . فان الاسترسال فى المطامع التجارية والشُّح العام غرسا الشحناء حتى بين الدول المتجاورة التى كان أولى بها التعاون على صوالح الجمهور ، بدلا من أن تصبح الآن على وشك الوقوع فى حرب سحيقة تمس العظماء والدول أيضاً رغم كل تظاهر بوسائل الدفاع الاستعمارية والحربية .

وحكام الدول أدركوا بعد كبريائهم العواقب الوخيمة من اتخاذهم التظاهر بخدمة الصالح العام مطية لشهواتهم ، وألقت عليهم الحوادث منذ سنة ١٩١٤ أكبر المواعظ ، ولكنهم لم يتخذوا منها الزواجر الرادعة .

ومن العجيب أن الحرب العالمية اتخذها المتغلبون سلاحا لارغام غيرهم على تحمل جانب من مسؤولية القتلى فى ميادين الحروب ، الذين ذهبت أرواحهم الى بارئها ، شاكية مما أصابها به الطغيان والعدوان البشرى المتوالي من الأقوياء على الضعفاء .

مضت خمسة عشر عاما ، والمسؤولون عن مستقبل الشعوب ما زالوا

على ما كانوا فيه قبل سنة ١٩١٤، ويتسترون (فى مقاصدهم ذات العواقب المحزنة بالسياسات السرية) فى ظل المحاضرات الدولية المؤسسة على المطامع وهدم صروح العدالة . فالانسانية صريحة بين أيديهم تستغيث من تصرفاتهم وهم لا يعبأون بأنينها .

وكل الصناع والعمال لحقهم الاضمحلال والضنك ، إلا الجماعات المخصصة للمنشئات الحربية والموادّ الجهنمية ، التى يتفنن فيها الانسان لاهلاك بنى نوعه ، حتى كأن العلم بدلا من أن يتخذ للترقى والتهذيب ، أصبح سلاحا للعدوان والبطش من طبقات الآدميين واغتيال بعضهم بعضا ولن يكون على هذه الحالة الارتقاء الانسانى سائداً بمعانيه الحقيقية فى الشعوب التى تنتسب اليه .

فالملايين من النفوس الكئيبة التى ساء حظها وازداد شقاؤها لحرمانها مما تستحقه فى رغد الحياة ونعم الوجود قد يحملها القنوط على السعى فى قلب الكيان والانتقام ممن كانوا أصل شقائهم المتسترين بصيغ المسؤوليات وتحمّل النتائج (تلك الكلمات التى كلها افتراء وخداع وتلاعب بحقوق الضعفاء)

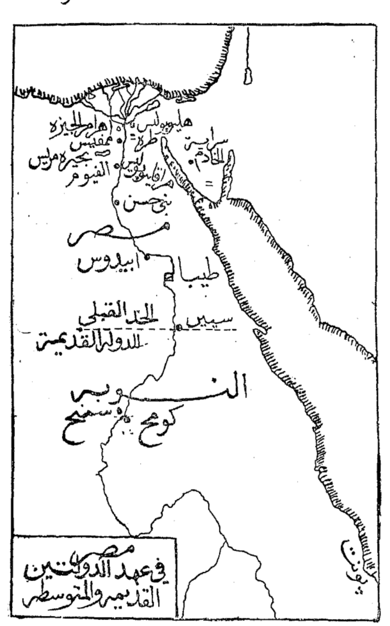
والبغضاء المستعرة في النفوس بين الطبقات وبعضها والشعوب والدول، هى أساس للهدم والدمار ، ولا يبنى عليها عمران ولا سطوة .

لقد سئمت الآذان وملّت النفوس من سماع الكلمات والوعود البراقة . والحوادث اليومية تزيدنا اعتقاداً بوجوب الرجوع الى التهذيب التاريخي والاتعاظ بحوادثه، التى تضمنتها الصحف الناصعة عن أربعة

وثلاثين جيلا خاصة بتاريخ مصر القديم ، تلك البلاد ذات الأسبقية في العدل والإصلاح والنية الصادقة لترقيـة الانسان وسعادته ، والأخـذ بوسائل الاقتصاد المجدى فى رفاهية البلاد ، وخير المجتمع ، وغايتها في كل مساعيها العدل الصريح وتقويم الاحسان الأدبي .

ونورد فى هذا الـكتاب مختصرات عن الحوادث الاقتصادية الحقة الخالية من التحيز للأهواء .

المؤلف



مصر في عهد الدولتين القديمة والمتوسطة



ديباجة

الفصل الاول

جغرافية مصر الطبيعية

النيل وواديه — الاقاليم المصرية بلاد صغيرة تبلغ مساحة أراضيها الزراعية نحو ٣٠٠٠٠ كيلو متراً مربعا (١) . وللوقوف على أدوارها الماضية ، وما كان لها فى التاريخ القديم من المدنية والرخاء ، وقوة الشأن ، وأهميتها العمرانية ، نوضح للقارئ موقعها الجغرافى فى تلك العصور الخوالى .

حدود مصر الطبيعية — يحدها من الشمال البحر الابيض المتوسط ، ومن الشرق صحراء العرب ، ومن الغرب صحراء ليبيا . فوادى النيل على هذا التحديد يبلغ طوله ٧٨٠ كيلو متراً من الدلتا إلى الشلال (أسوان) ، وهذا الطول تقريبى ، لانه لم يكن لمصر من الجهة القبلية حد طبيعى ثابت ، فقد كان هذا الحد دائما

---

(١) هذه المساحة تضاهى مساحة بلجيكا الحالية .

مصدراً لمطامع جيرانها ، ومنازعاتهم معها فى الاغتصاب من أجزائه (٢)

يتفاوت مجرى النيل سـعة فى سيره ، وينتهى الى أماكن ضيقة كمواقع (سلسلة) ، ثم يتسع فى أماكن أخرى ، حتى يبلغ نحو ٢٠ كيلو متراً فى منطقة بنى سويف (٣)

لم يستطع المؤرخون تقرير حدود ثابتـة للدلتا فى أيام مصر الفرعونية . ومما لا شك فيـه أن أكبر جزء من مواقعها الحاليـة ، كان فى تلك العصور مغموراً بالمياه ، ويرجح أنه فى الزمن السابق على التاريخ كان خليجا ، تخلفت فيه بترا كم الزمن أكوام الطمى ، المكون من الاجزاء الترابية ، التى نقلها النيل فى سيره من جبال الحبشة ، وصارت هـذه الاجزاء الحديثة أرضا ثابتة ، عما استقر تحتها من أنواع الحجارة الجيرية (٤)

فيضان النيل — السنون حافظة لدورها فى نظام الفصول ، والنيل يستمد فيضانه السنوى من الامطار الغزيرة ، التى تتراكم فى سهول الحبشة العليا ، ويمتزج بها ذوبان الثلوج ، فيبتدئ فى شهر يونيو باسوان ، وينتهى فى أوائل شهر سبتمبر .

وتـكون الأراضى المصرية فى أشهر الفيضان الاربعة (من يوليو إلى اكتوبر) مغمورة بالمياه ، وتـكتسى من رواسب الطمى سنويا طبقات لخصوبتها.

لا توجد لمجارى النيل السفلى فروع . فلو تحول من مجراه الأعلى ، لينصب

---

(٢) التنازع السياسى يترتب على ادراك مكانة الحكومة وهيبتها . فاذا كانت قوية الجانب عزيزة الشوكة كف الخصوم عن مناوأتها . وعلى هذا الأساس يرجع التوازن الاعتبارى السياسى بين الحكومات قديما وحديثا (راجع :
H. G. Lions' Egypte, Baedeker, 1914 ' p XLV.

(3) Cf. H. G. Lyons, The Physiography of the river Nile and its basin, 1906, in-4o, p. 299.

(4) Cf. l'étude géologique remarquable de BLANCKENHORN. Neues zur Geologie und Palaeontologie Aegyptens IV Das Pliocaen und quartaerzeitalter in Aegypten. Zeit. Deut. Geol. Gesellschaft. t. LIII, 1901, p. 457.



رسم يمثل جملة هيرودوت الشهيرة المأثورة عنه وهى :

« مصر هبة من النيل »

ماؤه فى البحر الأحمر ، لأصبحت الأراضى الزراعية قحلاء جافة ، تعلوها الرمال كجزء من صحراء ليبيا ، وتفقد مصر وجودها العمرانى والزراعى .

فالنيل هو المكون لارض مصر من طبقات الطمى المتخلفة ، بتمادى الاجيال فوق أرضها الصخرية كما سبق القول ، (٥) وتتوقف على فيضانه كل أدوار حياتها للاراضى الزراعية ومحاصيلها والانسان والحيوان والطير الخ . . (٦)

وقد أشار الى هذه الحقيقة هيرودوت فى تاريخه بجملته الكثيرة التداول وهى : « مصر هبة من النيل » (٧)

النيل بينابيعه كأنه لغز القدرة (٨) وتطوراته الخاصة ، وقوة فيضانه ومظاهره البديعة ، ادهشت عقول المصريين من أقدم عصورهم ، فاذعنوا لاتخاذه معبوداً وعرف عندهم باسم حعبى ، وأقاموا لفيضانه احتفالات ، ورتبوا لها أناشيد كلها اعتراف بفضله وتمجيد لعظمته كقولهم :

« سلام عليك ياحعبى ، أيها المعبود الذى تخرج الى هذه الأرض ، وتأتى لتعطيها الحياة ، أنت الذى تخبئ مجيئك فى الظلمات ، أنت موج تنتشر فى الحدائق ، لتعطى الحياة لكل انسان ، وتخص باروائك من أهالى الصحراء من حرمتهم السماء من مائها » (٩)

الشمس — كما أدهشت عقول المصريين أحوال النيل ، ادهشتهم أيضا قوة الشمس الغامضة .

فهى فوق تصورات العقول بقوتها الخالقة ونورها الساطع ومدتها المتقاربة فى المدى بين زمنى الصيف والشتاء ، وتأثيرها على المناخ اللطيف الخاص بمصر ،

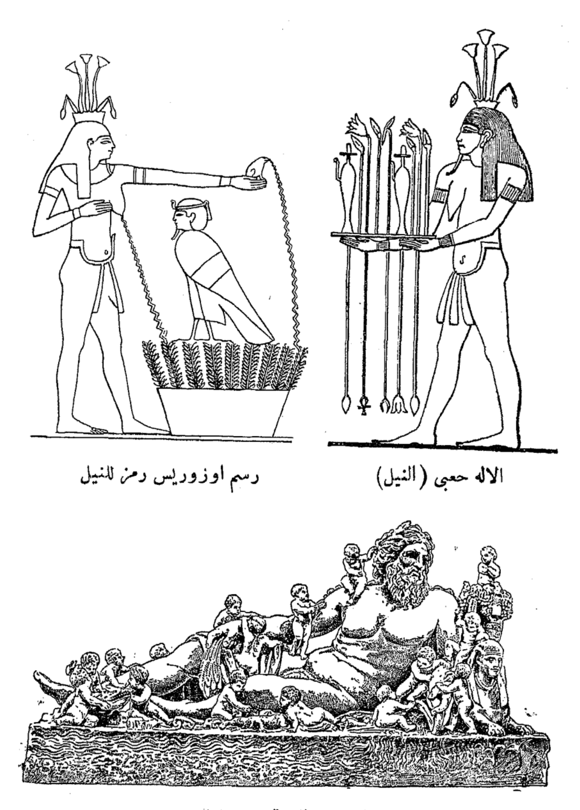
(5) MORET, Le Nil... l, p. 33.

(6) MASPERO, Histoire Ancienne... w, p. 14.

(7) HERODOTE II, vii.

(8) MORET, ibid, p. 32.

(9) Papyrus Sallier II, traduction de MASPERO, Histoire Ancienne... q, t. 1, p. 40.



الاله حعبي (النيل)

رسم اوزوريس رمز للنيل

الشيخ والستة عشر طفلا

رمز للنيل والستة عشر ذراعا (المقاييس)

المبدد للزوابع ، والطارد للمطر والمفرق للغيوم (١٠)

واعتبروا النيل من صنع الشمس ، فكانوا يخاطبونها فى ترنيمها الخاص به :

« أيتها الشمس الخالقة النيل فى العالم الاسفل ، والآتية به على الارض اينما أردت لتغذية البشر ، أنت سيدة الارض » (١١)

ولذلك اتخذت الشمس بمصر فى بعض العصور موضع العبادة الحقيقية للدولة المصرية (١٢)

فالنيل والشمس يباشران تأثيرهما اليومى المطلق على مصر

والنيل باعتباره الموزع للثروة ، والشمس السامية باعتبارها الخالقة للعالم احدثا بقوتهما تأثيراً أدبياً عظيما على المصريين .

والنيل فى ذاته معرض للشرق والغرق. ولمعالجة هذه الطوارئ فى استدامته على مجراه ، والانتفاع بفيوضاته ، انشأ المصريون من قديم العهد الجسور حول شواطئه ، حتى لا يتحول عنها .

وهذه الاعمال الكبرى لم يكن من المستطاع اتمامها إلا بتنظيم دقيق ومجهود كلى يشترك فيه جميع سكان ضفتى النيل . فكأن النيل أوجد بينهم — بحكم الحاجة اليه — تضامنهم فى هذه الشؤون ، وفرض عليهم الخضوع للنظام ، وجعلهم جماعة متحدة . وهذا الترتيب يقتضى الخضوع لارادة تامة ، وسلطة عليا ، فحتم النيل على الامتثال لحاكم قدير ، ولحكومة مطلقة (١٣)

---

(10) Texte des pyramides de Saqqarah (VIe dyn.) d'après SETHE, .s.s 589, cité par MORET, Le Nil... l, p. 42.

(11) Hymne â Aton. DAVIES, The rock tombs... iv, d, p. 32-33.

(١٢) نظرية بلا كان الخاصة بالعلاقات بين عبادة الشمس ، وبين عبادة الموت فى مصر ، فندها المستر برى (Perry) راجع مقاله بعنوان
The Cult of the Sun

(13) MORET, Le Nil... l, p. 59.

وقسمت الطبيعة أرض مصر قسمين مختلفين عن بعضهما ، أولها الوادى ، وثانيهما الدلتا (الوجهين البحرى والقبلى) فالوادى معتبر جزءاً من أفريقيا ، والثانى جزءاً من البحر الابيض المتوسـط ، وكلاهما يفتقر للآخر ، ولا يستطيع الاستقلال بذاته ، لان الدلتا تتطلب مساعـدة الوادى ؛ ولم يكن للوادى منفذ غير الدلتا ؛ وكأن سلطة النيل أرادت عدم تجزئتهما

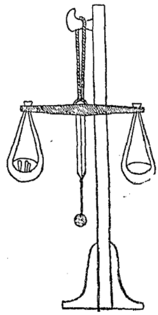
وكأن الشمس بمساواتها فى خواصها ومفاعيلها بين الفقراء والاغنياء ، علمت المصريين الأخذ بالعدل والأدب النفسى

وكأن الاوساط الطبيعية أحدثت فى مصر أكثر من غيرها الأثر المباشر فى التعويل على تأسيس الجماعات

فوحدتها الناشئة عن موقعها الجغرافى ، وحاجتها للاستفادة من أرضها ذات الطمى ، جعلت المصريين شعبا مزارعا ، حافظا لعاداته ، مطمئنا لخدمتها والبقاء بها بقناعة النفس ، وبدون ذلك لا يستطيع الشعب الخروج عن الوحشية (١٤)

(I4) PERROT ET CHIPIEZ, Histoire de l'Art..., p. 6.







الفصل الثانى

لمحة تاريخية عن مصر

يروى المؤرخون عن مصر ، كما يروون عن باقى البلاد الأخرى قصصا ، ذكرها لنا الكهنة ، ووردت فى بعض النصوص الشرقية .

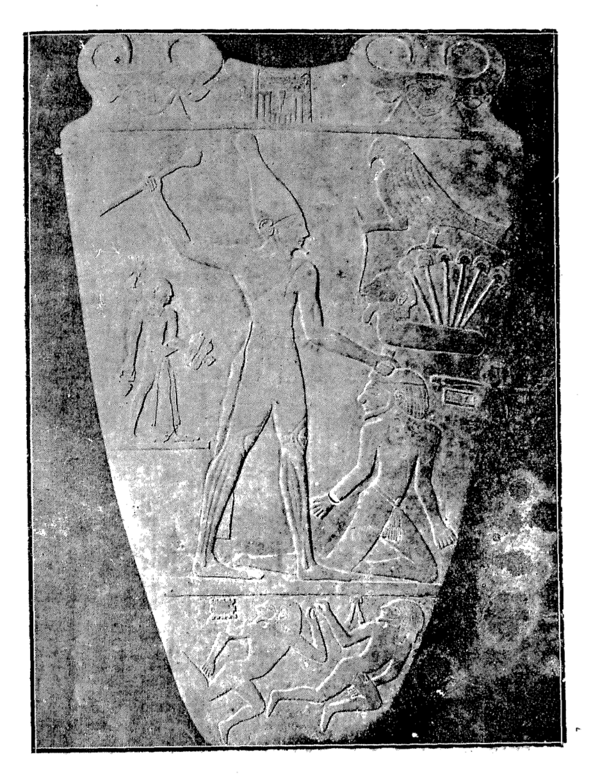
اصل المصريين — لا نستطيع الجزم بأن الأصل الأول للمصريين سلالة من قبيلة ، قدمت من كلدى الأولى ، واستوطنت مصر ، لان جميع الروايات فى هذا البحث تذكر على سبيل الافتراض ، ولم يكن هناك أدلة صريحة تكفى للاثبات .

الدولة القديمة — يقول المؤرخون إن الملك مينا هو أول من أسس مملكة مصرية حوالى سنة ٣٣٠٠ ق . م . (١٥) وكانت عاصمتها مدينة طينة ، ونقلها الى مدينة ممفيس ، لتوسط موقعها بين الوجهين البحرى والقبلى . ويؤكدون أن أحد خلفائه الاقربين من عهده ، أرسل البعثة الاولى الى سينا لاستخراج معادنها ، المذكورة فى بعض الكتب التاريخية (١٦)

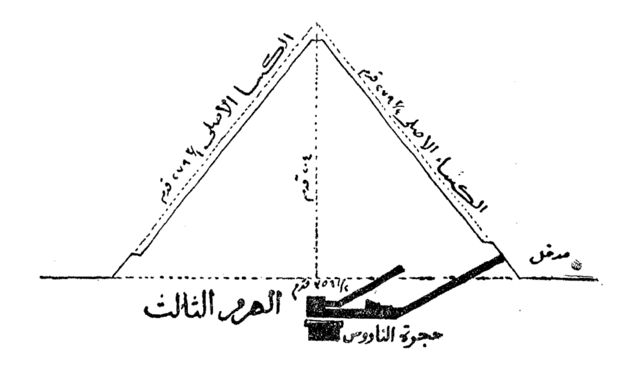
كانت مصر بعد دور الاسرتين الأوليين الطينيتين فى خلال سنى ٣٣١٥— ٢٨٩٥ .ق.م. فى سعادة ورخاء ، واتسع فيها بالتدريج النظام لمملكة مطلقة مذعنة

(15) Nous adopterons la chronologie courte, cf. E. MEYER, Chronologie égyptienne, a.

(16) JEQUIER, Histoire de la civilisation..., p. 100,



لوحة من الحجر الشست محفوظة بالمتحف المصرى بالطبقة العليا ومنسوبة الى الملك نرمر، ويغلب انه الملك مينا





الملك منكاورع وزوجته
والاصل بمتحف بوستن باميركا

لمليكها معتقدة أنه ذو الحق الالهى . واستمرت كذلك من الاسرة الثالثة الى الخامسة (سنوات ٢٨٩٥ ـ ٢٥٤٠ . ق . م .) ثم نسخت الملكية وخلفتها سلطة كهنة عين شمس والاشراف . ومكثت كذلك من الأسرة السادسة الى الثامنة (سنوات ٢٥٤٠ ـ ٢٣٦٠ ق . م .) وفى كل هذه العصور تدعى الدولة القديمة وفى مدتها أقام الملوك خوفو وخفرع ومنكاورع من الاسرة الرابعة أهرامات الجيزة الثلاثة الشهيرة .

وفى ذلك العهد وجدت الغزوات الأولى فى فلسطين والنوبة وتبعها ايجاد اقطاعات كبرى ونظامات زادت فى سلطة الكهنة التى انتشرت بوجه عام .

وقد حدث انقلاب بين الدولة القديمة والدولة الحديثة فى عهد الاسرتين التاسعة والعاشرة (سنوات ٢٣٦٠ ـ ٢١٦٠ ق . م .) نقلت بسببه عاصمة مصر الى مدينة هرا كليوبوليس واستطاع أحد أمراء الاقاليم الوسطى اغتصاب الملك ولم يكترث بخصومه المنحازين لأميرى أسيوط وطيبا .

ودامت الفتن والانقسامات والثورات بين الشعب مدة قرنين (١٧)

الدولة الوسطى — وفى سنة ٢١٦٠ كان النصر التام لأمراء طيبا . وعلى يد الاسرة الحادية عشرة ابتدأ دور جديد للدولة الوسطى (سنوات ٢١٦٠ ـ ١٥٨٠ ق . م .) واستطاع ملوكها تحديد السلطة لاشخاصهم وتوحيد مملكتهم واستقلالهم

وأول من قام بهذا النظام هو الملك امنمحعت الاول مؤسس الاسرة الثانية عشرة ومدتها ٢١٥ سنة (سنوات ٢٠٠٠ ـ ١٧٨٥ ق . م .) وأعاد لمصر كل

---

(١٧) (Moret, le Nil... P. 261) تضمن الوصف الرهيب لهذه الثورة المروعة فقد كان يتناشدها الشعب بأساليب وأمثال مؤثرة وردت فى نسخة يرجع تاريخها الى الاسرة ١٨ (M. de Leyde) ونشرها جاردنر (Gardiner) فى كتاب له عنوانه (The Admonitions of ..e)

ما كانت عليه من النظام والرخاء والطمأنينة العامة ، واستطاع سنوسرت الاول (البطل الروائى المعروف عند اليونان باسم سيزوستريس) ، وسنوسرت الثالث ، اتمام دعائم السلام ، وتعزيز السطوة التى تلقياها عن امنمحعت الأول ، حتى أدخلا بلاد النوبة تحت السيطرة المصرية .

اغارة الهكسوس — ورجوع السلطة الملكية لمركزها الاول ، لم يكن كافيا لايقاف غارة الهكسوس (وهم قوم من خلطاء الشعوب ، الذين لجأوا لمصر من آسيا الصغرى وغيرها) على مصر .

ففى سنة ١٦٦٠ ـ ١٥٨٠ ق . م . تكوّنت مملكة بربرية ، اتخذت أفاريس عاصمة لها ؛ واستدامت لمصر السلطة على النصف الاول من بلادها القبلية ؛ والنصف الآخر كان يمتد الى آسيا الغربية ؛ وربما الى بلاد بين النهرين (١٨)

ولما استولى الرعاة على عموم ادارة مصر الوسطى ؛ بقى الوجه القبلى وطيبا محافظين على استقلالهما (١٩) .

وفى أغلب الأقاليم الوسطى ؛ اقر الرعاة بقاء الموظفين الفرعونيين فى مراكزهم (٢٠) ؛ وأجلسوا بعض أمراء البلاد على عروشهم ؛ وهم الذين أسسوا الاسرة ١٤

ولم يستطع الرعاة أن يوطدوا سلطتهم على مصر ولو جزئيا ، بل طردوا مقهورين

---

(18) MORET, Histoire de la Nation... m. p. 283.

(19) NEWBERRY, Notes on the... j, p. 122,

(٢٠) وهكذا اعتادت اغلبية الشعوب الأجنبية ، عند احتلال مصر كالعجم واليونان والرومان والعرب والاتراك ، إذ يرون من تعزيز نظامهم ، الاستعانة بالموظفين المصريين ذوى الكفاءة والثقة فى اعمالهم .
(Maspero, Histoire Ancienne q, II. p. 58)

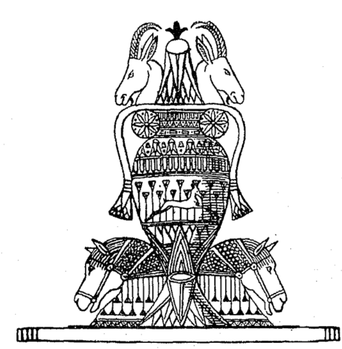
سنة ١٥٨٠ فى بدء الاسرة ١٨ (٢١)

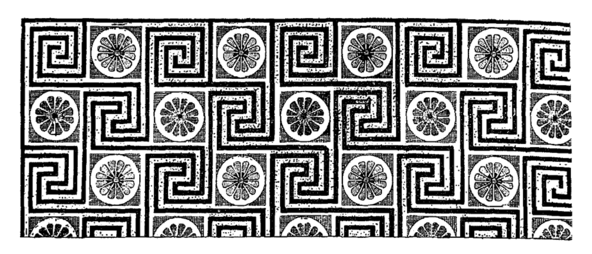
وقد أدخل الرعاة فى بدء أمرهم الخيل فى مصر ، ولم تكن معروفة قبلهم . وبواسطة ذلك غيروا بها مألوف النظام الحربى ، وهم لم يحدثوا شيئا يذكر فى المدنية المصرية ، بل أنهم تمصروا فى كل شئ .

أحدثت غارة الهكسوس على مصر اهتمام المصريين بالخوض فى السياسة الشرقية ، التى انتشرت فى عهد الاسرة ١٨ لمقاومة الشعوب المهاجرة ، ودول آسيا القديمة . وقرر الفراعنة لاستدراك الخطر ، وأمن الغارات ، اقامة حصون ومعاقل فى كنعان وسوريا ، اذ لم يكن مستقبل مصر مقصوراً فى وادى النيل فقط ، بل فى كل المراكز القابلة للتزاحم فى شواطئ البحر الابيض المتوسط الشرقى (٢٢) .

(٢١) يقول بعض المؤرخين ان الرعاة لم يطردوا ، ومعظمهم تمصروا وصاروا اتباعاً أمناء لملوك طيبا (V. Schmidt Rec. Champollion. p 179) ولكن لا أوافق على هذا الرأى ، لان سياسة الفراعنة للأسرة ١٨ ، تخالف ان يقاس هؤلاء الرعاة بالمصريين ، بل بالعكس طردوا حتما ، وهذا لا يمنع من استثناء أقلية لا تذكر تمشيا بتلك النظرية .

(22) MORET, Histoire de la Nation... III, p. 283.





الفصل الثالث

المصادر والمستندات

﴿ الخاصة بالاسرة الثامنة عشرة ﴾

يوجد ثلاثة أنواع من المستندات :

(١) الروايات الشفوية .

(٢) الاستدلالات الكتابية .

(٣) الآثار المنقولة والعقارية . (٢٣)

الروايات الشفوية — جميع ماروى عن تقاليد الاسرة ١٨ ، بل وعن تاريخ مصر جميعه ، نقل الينا عن المؤرخين اليونانيين كهيرودوت (سنوات ٤٨٤-٤٢٥ ق . م.) ، ومانيتون (فى القرن الثالث ق . م .) ، وسترابون (فى القرن الاول ب. م.) ، و بلوتارك (سنوات ٥٠ - ١٢٥ ب . م) . وجميع رواياتهم يصعب التمييز فيها ، بين ما هو خطأ غير مقصود و بين ما ذكر على سبيل التأويل ، ولا يعول

(23) R. MAUNIER, Introduction à la sociologie, in-16, 1929, p. 55.

على هذه المصادر إلا اذا قورنت بمصادر معاصرة لها ، للاستدلال بها على معلومات عامة (٢٤)

وأسفار موسى الخمسة والتوراة ، فى اعتقادى كمجموعة استدلالات ، تحتاج لاستقصاء مباحث تفسيرية عن موضوع نصوصها الجديرة بالبحث والنقد (٢٥)

والمعلومات التى نجمعها اليوم ، نقلا عن بعض الشعوب ، الذين تناقلوا شرائع وعادات عن الأسرة ١٨ الفرعونية ، هى فى وجهة النقد والبحث ، مماثلة لباقى التقاليد عن المعلومات الاخرى (٢٦)

ولكن ما يتعلق من المعلومات الخاصة بعلم الأمم ، لا يستوجب عناء فى تصحيحه وتنقيحه للدرجة القصوى . وانما الذى يجب الالتفات اليه ، ان العبارات المتشابهة تكون أوهاما محضة .

(٢) **الاستدلالات الكتابية والرمزية** — هذه الاستدلالات عباراتها مكتوبة فى الغالب بالهيروغليفية ، وهو خط صورى رمزى صوتى ، اصطلح عليه فى المفردات والجمل والكلمات (٢٧) والمأخذ الأول لهذه المعلومات ، هو أول ما اكتشف من الرسوم ، التى فى الرجوع اليها كل الفائدة ، لأن تلك الصور

(24) G. A. WAINWRIGHT, An. Eg. 1914, p. 153.—DELAPORTE, La Mésopotamie, p. 2.

(25) Ed. NAVILLE, Archaeology of the... d. — YADUDA, Die Sprache der Pentateuch...

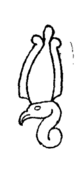
(26) PETRIE, Researches in Sinaï, f, p. 33.—Ch. DE LA RONCIÈRE, p. 400.

(27) CHAMPOLLION, Précis du système hiéroglyphique 1824

مفتاح

اللغة المصرية القديمة

وأنواع خطوطها وأهم إشاراتها



الابجدية

ا
ا
ى
ى
ع
و
و
ب
ب
ف
م
م
ن
ن
ر
ل

وضعه

انطون زكي

أمين دار كتب المتحف المصري



سنوسرت الثالث

(نقلا عن كتاب)

Legrain, Statues, t I pl VI

الهيروغليفية

ه
ح
خ
س
س
ش
ق
ك
ج
ت ط
ث
د ض
ذ ز
ظ ص

مستعارة عن الحقيقة . (٢٨)

والاستدلالات المذكورة بعضها ذو مآخذ رسمية ، والبعض جاء عن معلومات خاصة .

النقوش والرسوم الرسمية — أصحها ماوجد منقوشا على جدران المعابد وواجهات مداخلها العمومية ، كصحيفة تاريخ تحوتمس الثالث الشهيرة ، المأخوذة عن واجهة الجدار الداخلى للمعبد الكبير للاله آمون بالكرنك وهذه الصحيفة التاريخية ، تشمل نحو ٢٢٣ سطراً وهى أكبر وأهم نقش تاريخى لمصر فى نوعه ، وتتضمن أيضا التفصيلات الدقيقة لمآثر فرعون وأعماله الحربية . (٢٩)

وبعض النقوش الثابتة على الصخور ، تعد بمثابة ذكرى تاريخية لمرور (٣٠) أو دخول فرعون ذاك الوقت فى محجر احتفالا بافتتاحه . (٣١)

ومن هذه النقوش ما أقيم على شواهد ، رفعت فى أمكنة تخليداً لانتصارات حربية ، (٣٢) أو لتولية ذى عرش (٣٣) أو للاحتفال باتمام أعمال عمومية فى معبد (٣٤) أو نحوه ، أو لانشاء مدينة أو لحدود فاصلة (٣٥) .

وتوجد نقوش على جعارين ، اتخذت كتذكار لعمل تاريخى أو عيد سنوى أو زواج أحد الملوك ، أو احداث بحيرة ، أوللتنويه عن صيد ، افتخر به ملك فى ذاك الحين الخ . (٣٦)

---

(28) B. BRUYÈRE, Deir el Medineh, b.

(29) BREASTED, A. R. II, ss 391-540.

(30) LEPSIUS, Denkmaler, a, III, 5.

(31) A Silsileh, Toura, Assouan, Bersheh et au Sinaï.

(32) Hymne de la victoire à Karnak, stèle trouvée par MARIETTE.

(33) Stèle du Sphinx à Guizeh.

(34) Stèle d'Abydos, M. du Caire.

(35) Stèles limites de Tell el Amarna

(36) Scarabées commémoratifs d'Aménophis III.—BREASTED A. R. II. ss 860 s. — BUDGE, The mummy... e, p. 298

النقوش والرسوم الخاصة — بعض العظماء المعاصرين للاسرة ١٨ الفرعونية ، اعتادوا إقامة نقوش و رسوم لتزيين قبورهم وحجرهم ومعالمها الجنازية ، فاتخذت بعدهم مرشداً للحياة والعظمة فى ذلك العصر ، اذ كانت العقائد تحتم ايجاد الرسوم على هذه الامكنة بكل أمانة واعتناء ، شاملة لمناظر كل ما قام به عظماء الاحياء . (٣٧)

و يتعمدون اشتمال هذه الزينات المقامة بالاماكن المذكورة ، على أهم ماعرف عن حياة الموتى ، وعلى أعظم مستندات تاريخية قيمة عن حياة المصريين الاقتصادية . (٣٨)

والاوراق البردية تتمم الارشادات للنظام المماثل لما بين أيدينا . وأغلبها يتضمن أدعية للآلهة ، (٣٩) ومكاتبات عن عقود واستخدام ، (٤٠) ومحررات لاصحاب امتيازات الاراضى ووكلائهم ، (٤١) ومسائل قضائية (٤٢) وهذه المستندات نادرة جداً فى عهد الاسرة ١٨ ، ولكن وجدنا كثيراً من نوعها فى عصرى البطالسة والرومان (٤٣)

وقد عثروا أخيراً سنة ١٧٨٧ بتل العمارنة باسيوط على مستندات قيمة شاملة لكثير من المواضيع السياسية الخارجية الفرعونية فى عهد الاسرة ١٨ ، وهى

---

(37) GAUTHIER, L'Egypte pharaonique, c, p. 183.

(38) N. de G. DAVIES, Nakht... 1, p, 35.

(39) MOLLER, Zur Datierung... a.

(40) GRIFFITH, A contract of the... b, p. 272.

(41) T. E. PEET, Two eighteenth... e, p. 70.

(42) GLANVILLE, The letters of Aahmose... b, p. 294.

(43) P. M. Meyer, Juristische Papyri, Berlin 1920, P. 195.— Aranjio Ruiz, Li neamenti del sistema contrattuale in dir. d. papyri, Milano 1927. — Guéraud, Extenxeuis, 2 vol. 1930-1931. V. également la bibliographie du Précis d'Histoire de l'Egypte, t. I de Jouguet, 1932, Le Caire, p. 420-432.

من قوالب صغيرة ، اكثرها من اللبن ، و بعضها من الآجر ، وعددها نحو ٣٠٠ بعضها نقل الى متحفى لندن وبرلين ، وجانب منها بالمتحف المصرى ، بالطبقة السفلى بالطرقة الغربية

و يعبرون عنها الآن بألواح تل العمارنة ، وعليها نقوش مسمارية ، اشارة الى أنها كانت خزانة لوزارة خارجيـة فرعون ، وبينها رسائل من أصول وصور باسمى أمنوفيس الثالث وأمنوفيس الرابع ، صادرة من ملوك بابل والاسيا وميتانية وامراء سوريا وفلسطين ، ومكاتبات من الفراعنة والحـكام المصريين لمن ذكروا (٤٤)

والمستندات المذكورة لها قيمتها الـكبرى التاريخية ، ولا تقل عن قيمة المراسلات الدولية والادارية التى اكتشفت فى البلاد الأخرى ، مع ندورتها فى نوعها ، ويمكننا أن نقيسها بمثيلاتها من نصوص المكاتبات المتنوعة الدولية التى عثر عليها فى البلاد الاخرى (٤٥)

الآثار العقارية والمنقولة — هى من البراهين العظمى التاريخية ، و بيان صادق لمدة حكم الملوك المتعاقبين فى أدوارهم ، وعنوان واضح على قوة رجال الدين وسطوتهم ، واحترام المعابد فى عصر الاسرة ١٨ ، وهى أيضا شهود عادلة للحياة النفسية الاقتصادية المصرية وقـد ادخرتها الاجيال فى أحقر القرى حتى نباتا (Napata) ببلاد الحبشة ، وحتى سوريا

والمنقولات الخاصة بالاسرة ١٨ ، تعد ذات مكانة عالية فى الوجهة العلمية

---

(44) Moret, Des clans... k, p. 325 et Au temps des... i, p. 49, cf. Winckler, Knudtzon, Bezold, Delattre, Halévy et Scheil.

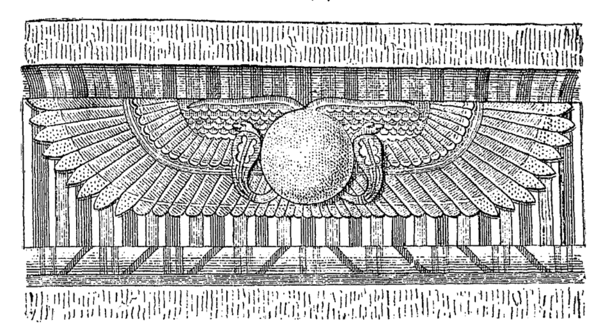
(45) Les tablettes de BOGHAZ-KEUI, capitale du royaume des Hittites en Asie Mineure, déchiffrées par Em. FORRER et résumées par DHORME, Rev. Biblipue, Octobre 1924. Ces déchiffrements sont d'ailleurs discutés par F. SOMMER et H. EHELOFF.

والتاريخية ، لاننا اذا استعنا بها فى دراسة الاشياء الصناعية والفنية ، استطعنا الوقوف على سمو العلوم والمدنيـة فى تلك العصور ونبوغ أهلها ، واستطعنا أيضا الوقوف على حالات مهمة من داخلية الشعب ، وكثيراً ما اقتبسنا بوجود قطع من الخزف وجدت فى أماكن متفرقة ، معلومات مفيدة ، لا تقل أهميتها عن نصوص كتابية تتضمن علاقات بين شعوب متعددة .



الملك تحوتمس الاول زوج الملكة (عاحمس)
وابو الملكة حتشبسوت (نقلا عن كتاب)

Davis, Tomb of Hatshapsut



الفصل الرابع

علم تاريخ الاسرة ١٨

(سنوات ١٥٨٠ — ١٣٤٥ ق . م .)

ليس للمصريين تاريخ ثابت ، وكل حوادثهم المذكورة فى مستنداتهم القديمة يرجع فيها الى سنى حكم كل فرعون على حدته .

ويكاد علماء الآثار ان يكونوا على إجماع ، فى أن بدء تاريخ الاسرة ١٨ ، هو سنة ١٥٨٠ ق . م . ولكن مدة الحكم لفراعنتها مختلف فيها .

(سنوات ١٥٨٠ـ١٥٧٧ ق.م.) **اعحمس** (٤٦) هو رأس الاسرة ١٨ ، ويغلب على الظن انه انتصر على الرعاة ، واخرجهم من مصر ، وهو الذى كون الوحدة المصرية .

(سنوات١٥٥٧ ـ ١٥٣٦ ق.م.) **امنوفيس الاول** ابن اعحمس

---

(46) Les dates ci-dessus sont empruntées à l'ouvrage d'Erman, Aegypten und aegyptisches leben..., p. 660.

(سنوات ١٥٣٦ ـ ١٤٨٠ ق . م .) كانت تلك المدة ميدانا للمعارك والقتال بين الطامعين فى تقلد الملك وهم :

تحوتمس الاول — ابن امنوفيس الاول واولاده

تحوتمس الثانى — لم تزد حياته عن ٢٥ سنة

حتشبسوت وتحوتمس الثالث ـ تعاقبا الحكم

وهذه أول امرأة فى التاريخ بصفتها ملكة فى الحكم تارة بانفرادها ، وتارة بالاشتراك مع أخيها وزوجها تحوتمس الثالث

واختلف العلماء فى التعاقب بينهما ، وفى مدة حكم كل منهما (٤٧) ولكن اتفقت النصوص على أن تحوتمس الثالث ابن تحوتمس الاول (٤٨) هو أول ملوك مصر الفاتحين . وطالت مدة حكمه ، ولم ترمصر ملكا مثله ، وكانت حياته كلها مملوءة بعظائم الاعمال ، وخصوصا بعد وفاة أخته وزوجته حتشبسوت ، (سنوات ١٤٨٠ ـ ١٤٤٧ ق . م .)

(سنوات ١٤٤٧ ـ ١٤٢٠ ق . م.) **امنوفيس الثانى** ابن تحوتمس الثالث وحتشبسوت

(سنوات ١٤٢٠ ـ ١٤١١ ق .م.) **تحوتمس الرابع** ابن تحوتمس الثانى

(سنوات ١٤١١ـ١٣٧٥) **امنوفيس الثالث** ابن تحوتمس الرابع

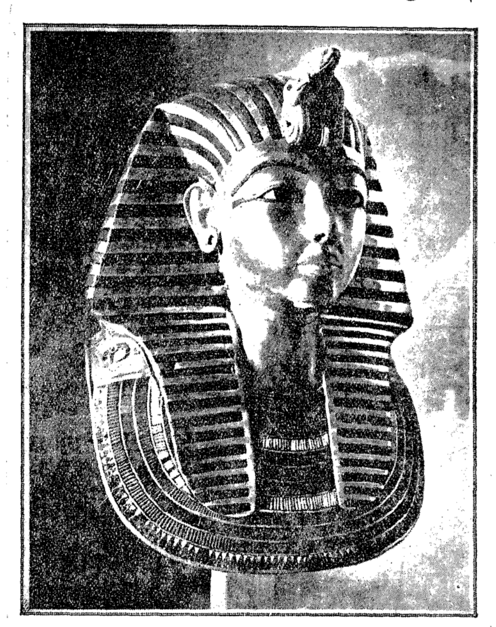
أولئك الملوك الثلاثة حافظوا لمصر على حدودها التى رسمها تحوتمس الثالث (سنوات ١٣٧٥ ـ ١٣٤٥ ق . م .) وتولى أمنوفيس الرابع الحكم ،

---

(47) Breasted, A. R. II s.s 128, Sethe, Uterschungen... b, 1, 19s. s 29, 39 s.s 5?. — Moret, Hatshopsitou à Deir el Bahari, j, p. 12, 16, 33, 41. — Steindorff, Die Blutezeit..., p. 165 .

(48) Lieblein, Totmes III... a, — Maspero, Proc. Soc. Bibl. Arch. t. XIV, p. 171 s.

خلفا لابيه أمنوفيس الثالث ، وكان عمره وقت تقلده الحكم ١٢ سنة ، و بلغت مدة حكمه نحو ٢٠ سنة ، ولم يعقب ذكوراً من نسله ، فخلفه فى الملك أصهاره ، ومنهم توت عنخ امون .



توت عنخ امون والاصل بالمتحف لمصرى



الملك تحوتمس الثانى ابن الملك تحوتمس الاول
واخو الملكة حتشبسوت
(نقلا عن كتاب)
Davis, Tomb of Hatshapsut



الجزء الاول

الانظمة المصرية

﴿ فى عهد الاسرة ١٨ الفرعونية ﴾

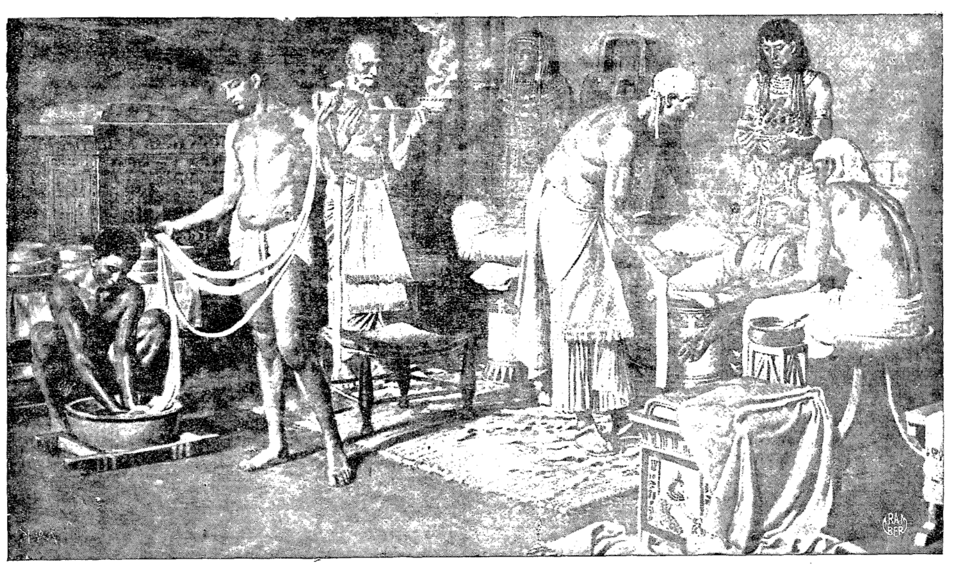
الفصل الاول

الدين هو أساس النظام

« انظمة القدماء الوضعية ، اذا جردناها عن اعتبارات العقائد، »
« نجدها مظلمة جافة غامضة ، ولـكن اذا راجعنا تشريعاتهم »
« الوضعية، المستمدة من عقائد ايمانية ، نجد أن حسن القصد »
« شفيع فى حل وفهم ما أشـكل علينا ادراكه بادئ بدء ، »
« ونستطيع بتتبع السير على ذلك فهم حقائقهم »

Fustel de Coulanges, La Cité antique.

المصريون فى تاريخهم الاول ، كانوا كبقية الشعوب القديمة ، يخلطون الشؤون الدينية بالأحوال الاجتماعية ، مما يؤدى الى تمازج السلطتين الحـكومية الدينية



طريقة التحنيط عند قدماء المصريين

وشؤون الادارة المدنية بالنظامات الـكهنوتية ، فلم تـكن هناك فوارق بين الفن المدنى والعلم الدينى .

كأن الشعب المصرى خلق منذ فطرته الأولى ، شغوفا بما له فى الحياة الآخرة ذات الخلود ، وهم يمثلون لحياةالخلودمعانى الحياة الدنيا ، فى كل ماتطمح النفوس اليه (٤٩)

وقد انغرست فى عقائد الشعب ان لفرعون المعدود عندهم إلهاً فى الأرض ولبعض أصحاب الامتيازات ، مكانة فى عالم الخلود ، الذى هو الحياة الثانية ، تزيد وتسمو اعتباراً عن مكانتهـم فى الحياة الدنيـا ، لـكونهـم فى الحياة الآخرة يزدادون قربا من مكانة الآلهة الممتازين بدرجاتهم فى حقول « ايالو » :

ولرغبتهم فى تمتع الملوك ، بما يعتقدون استحقاقهم له من السعادة فى الآخرة واشتراك أرواحهم وأجسامهم فى التنعم المرغوب ، كانوا يحنطون جثث الفراعنـة باجراءات ذات صبغة دينية سحرية ، معتبرة سرية ، و يعتقدون أن بواسطتها ، تتصل أرواحهم باجسامهم ، فتتحد فى التنعم بسعادة العالم الثانى .

وعند وفاة أحد الملوك يهتم الشعب أجمعه اهتماما صادقا بحياته فى العالم الثانى ، و يعتقدون أنه فى السماء الحارس لشعبه و رعاياه ، والشفيع لهم عنـد ما يكون فى صفوف الآلهة ، ليساعد فى سـعادة مصر ورخائها ، وتوثقا من حصول جثته المحنطة على مايتمنونه لها فى برزخ الخلود ، يشيدون له قبراً بأنواع الفخامة والتعظيم ويمنعون لمسه (٥٠) ويضعون فيه الجثة المحنطة ، و بعقيدتهم الدينية السحرية ؛

(49) Sur la religion égyptienne, cf. :

A. Erman, Die aegyptische Religion, in-8o, 2e éd. 1909, ouvrage traduit par Ch. Vidal, « La Religion Egyptienne », 8o, 1907.

G. Steindorff. The religion of the ancient Egyptians, New-york, 1905.

Ph. Virey, La Religion de l'Ancienne Egypte, in-16, 1910.

(50) Moret, Le Nil... l. p. 163 et Des clans... k,p. 176.

يطمئنون الى معيشتها الأبدية ، ممتعة بكل مايحبونه لها (٥١)

وظروف الفوضى التى طال أمدها فى تغيير النظامات، عقب الاسرة العاشرة المصرية ، كان من نتائجها حدوث تطورات وانقلابات فى العقائد الدينية ، والنظم الاجتماعية ، وقد تيقظ الشعب المصرى الى مقاومة تلك العقائد واجراءاتها ، حتى استطاع انتهاك محراب معابدهم، وأزال جميع ما كان فيها من شعائر الطقوس السحرية التى كانوا يمارسونها ، لتجعل فرعون ، بعد وفاته ، فى حياة خالدة

الطقوس الجنائزية فى عداد الاعتبارات الجمهورية — وسرت الديانة المصرية القديمة فى جمهور الشعب المصرى ، وحافظ على حقوقه فيها ، واحدث تغييراً فى نظام المصريين الاجتماعى (٥٢)

وتوصلوا الى احتساب العالم الثانى فى دور الجمهورية ، ليكون للشعب المصرى حق الاشتراك (٥٣) فى الاسرار ، التى كانوا يدخرونها للفراعنة ، وأباحوا لانفسهم تحنيط جثثهم ، كما كانت تحنط الفراعنة على شكل أزوريس ، (٥٤) لان القيامة بعد الموت صارت عقيدة عامة للجميع

وصار الشعب المصرى على اعتقاد بمساواة دينية ، تحقق ما كان يتمناه من مساواته فيها بالملوك والآلهة

---

(٥١) وكانوا يعتقدون أن الاجسام يجب تحنيطها ، لتكون صالحة لحلول الارواح فيها ، لانها إن لم يعدوها بالتحنيط ، ووسائل الطقوس الدينية السحرية ، تلتحق النفس بعد فساد الجسم غير المحنط بالفناء.

(52) L'importance historique et sociale de ce fait était méconnue jusqu'au jour où M. Moret démontra la transformation sociale qui en est résultée. Cf. Moret L'accession de la plèbe égyptienne aux droits religieux et politiques sous le Moyen Empire. Rec. Champollion, 1922 p. 331—360.

(53) G. Jequier, Les frises d'objets de sarcophages du Moyen Empire, Mém. Inst. Fr. Ar. Or. C; t. XLVII, 1921.

(54) Moret, Le Nil... I, p. 298.

بذلك أدرك المصريون حقوقهم الدينية ، وكان كل فرد منهـم يتمنى لنفسه التأكد بالحياة الثانية الخالدة ، مشاركا فيها للملوك والآلهة

واصبح المصريون فى ذاك العهد ، بعد ان كانوا يشغلون اوقاتهـم بالاحوال الدينية فقط ، يشتغلون أيضا بالحياة الثانية الخالدة وصارت هـذه الفـكرة شغلا شاغلا لسائر الطبقات والعائلات ، وعولوا على تعميم التحنيط بين الجميع ، واقامة المقابر للموتى بجوار المدائن وان حفظ بقايا جثث الموتى المحنطة فى قبورهم ، وديعة من الاجيال السالفة فى عنق الخلف (٥٥)

كانت أنظمة الحـكومات القديمة ، مؤسسة على ما يسمونه أسرار الانظمة الدينية ، ولـكن قد انـكشف الأمر للشعب المصرى ، وصار من المحال لديه إعادة المملكة الفرعونية الى تلك الصفة ، التى زال عنها الاتصاف بسريتها (٥٦)

تمتع الجميع بكل الحقوق السياسية — ولما صارت الطقوس الجنازية فى عداد الاعتبارات الجمهورية وان للافراد التمتع فيها بكافة الحقوق الدينية ، وافقت الجمهورية الادارية الملكية على ذلك وعلى أن للجميع التمتع بالحقوق السياسية والوظائف الرسمية .

الغاء الامتيازات — ولما علم امراء الاقطاع أصحاب الاراضى الواسعة فى الاقاليم ، بما وصلت اليه هـذه الحالة (عقب الغاء تلك الامتيازات) وكانوا فى واقع الامر أشبه بدويلات صغيرة فى جوف الدولة المصرية ، أيقنوا بأنهم أصبحوا مجردين من كل شئ .

وكانت جميع الاراضى المصرية كما سيأتى بيانه ، (٥٧) ملـكا خاصا للملك ،

---

(55) Renouvier, Introduction à la Philosophie analytique de l'Histoire, p. 276.

(56) Moret, Nation Egyptienne... m. p. 246.

(57) Voir infra,

يديرها و يستغلها لنفسه ، أو يتنازل للشعب بادارة بعضها لقيامهم بخدمات جليلة له.

بذلك تدرك مقدار الاهمية لحكومة ملكية فى دولة زراعية محضة كمصر

وكانت الامة المصرية فى ذاك الوقت طبقتين ، الاولى أصحاب الامتيازات المتعين باوجه التمليك والانتفاع ، والثانية أتباع خاضعون لخدمتهم . والانقلاب الحديث استدعى محو هذه التسمية ، وتأليف هيئة وظيفية تنتخب من مجموع الامة (٥٨) ، و بقية الافراد من الفلاحين والقرويين اعتبروا أصحاب انتفاع بالاملاك ، التى أوجدها النيل والشمس فى مصر (٥٩)

وتحت الاحترام للسلطة المطلقة (للقانون الآلهى)، وجدت حكومة اشترا كية يرأسها فرعون للانصاف بين المصريين فى شؤونهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية والأدبية (٦٠)

ومع هذا النظام استمر بمصر العرف المتبع عند باقى الشعوب القديمة ، وهو اختلاط الوظائف الادراية والدينية والحربية (٦١) .

---

(58) La population totale de l' Egypte sous la XVIIIe dynastie n'a pu être exactement déterminée, M. le professeur MORET, propose le chiffre de 8 millions, Le Nil... I, p. 547, n3.

(59) Moret, ibid., p. 272.

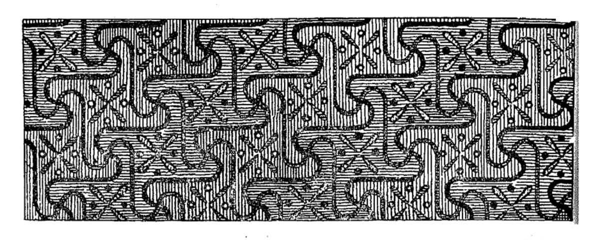
(60) J. Baillet, Le régime pharaonique... p. VIII.

(61) Sur les confusions du sacerdoce, de la justice et du commandement dans les sociétés antiques, voir : FUSTEL DE COULANGES, La Cité antique, livre 3, ch. 10.





الملكة تيي زوجة امنوفيس الثالث
(نقلا عن كتاب)
Davis, the Tomb of queen Tiyi pl. XXXIII.



الفصل الثانى

الفرعون

عادات الوراثة الملكية — كانت عادات الوراثة الملكية ابقت فى مصر اكتسابها عن طريق الأم لأن المرأة كانت تكسب ابناءها حق التورث فى العرش (٦٢) كما كانت تكتسب للرجال بزوجاتهم

ويظهر أن الفرعون الأول للاسرة ١٨ كان فقط أميراً لطيبا ، ولما احب اكتساب الحقوق فى العرش الملكى تزوج (بعاحوتب) التى كانت الوريثة للحقوق الملكية (٦٣)

وكان من المألوف فى شريعة قدماء المصريين تعددالزوجات وأكثر محظيات الفراعنة اتصالا بسبب الاسرة المالكة كانت تمنح لقب « الزوجة الكبيرة للملك » (٦٤)

(62) Moret, Le Nil... I, p. 355.

(63) Inscription de Kares, administrateur des biens de la Reine, Breasted, A. R. II, s.s.51-53.

(64) Newberry, c, p. 357 et Proceedings, t. XXXVI, 1914 p. 168.

وكان العرف فى الترشيح لمن يتقلد التاج الفرعونى تقديم الابن الذى تتصل أمه بسلالة النسب الملكى او لاميرة جاءت من ملكة (٦٥) أبوها فرعون ولو كانت زوجته من أصل وضيع ، ومتى تقدمت طبقات من الورثة على هذا المنوال فالاخ الملكى يتزوج أخته ويشتركان فى العرش (٦٦)

(65) Maspero, Histoire Ancienne... q, 77.

(66) Sur les conséquences physiologiques de ces mariages. Cf. Sir A Ruffer, On the Physical... b.



الملكة (عا احمس) زوجة تحوتمس الاول وأم الملكة حتشبسوت
(نقلا عن كتاب)
Davis, Tomb of Hatshapsut

و الاسرة الثامنة عشرة هى التى امتازت حوادثها بكثير من الغرابة فى هذا الموضوع ، لأن الملكات عا احوتب ، و اعحمس ، ونفرتارى ، وعا احوتب الثانية ، و اعحمس الثانيـة ، وتيى ، ونفرتيتى ، استطعن التغلب على الحوادث وتقلد الملك واخضاع الشعوب وتنظيم الحكومات . وا كتشف فى بعض النقوش الخاصة بهن ما يثبت احترامهن ونفوذهن فى الشعب (٦٧)

الطبيعة الالهية للملكية الفرعونية — ولم يكن ترشيح النساء للعرش الفرعونى الموصوفات بالبكورية (أكبر بنات الملك) يكتفى فيه بان يكون أبوها فرعونا فقط ، بل يلاحظ كونه من نسل إلهى يعتبره الشعب إلها على الارض معبوداً من رعاياه ، لاعتقادهم أنه الوسيط بين الشعب والآلهة أنفسهم (٦٨)

ولحرص الفراعنة على توقير مكانتهم ورهبتهم عند الشعب ، نقشوا على جدران المعابد نقوشا رسمية باتصال أنسابهم بأصل إلهى . ومن هـذا القبيل أن تحوتمس الثالث ادعى أن الاله أمون أوصى باتخاذه إلهـا حال احتفال فى معبد الكرنك (٦٩) كما أن الملكة حتشبسوت نسبت ولادتها الى اتصال أمها (عا احمس) بالمعبود تحوت (٧٠) وأمنوفيس الثالث سلك لنفسه مثل هذا الاتصـال النسبى الألهى (٧١) ليحمل الشعب على الاعتقاد باحقيته فى العرش .

---

(67) Sur la Reine Tetisheri cf. Winclock c, p. 16. Sur Tiyi, cf. Davis, The tomb of Queen Tiyi,f Sur Nefertiti, cf. Pendlebury, Preliminary... d.

(68) Mercer, Emperor worship... a.

(69) Mariette, Karnak, p. 14 et 16. — Breasted, A. R. II, s.s 131 s.

(70) Naville, Deir el Bahari, a, II, p. 46-55. —Breasted, A. R. II, s.s 187.

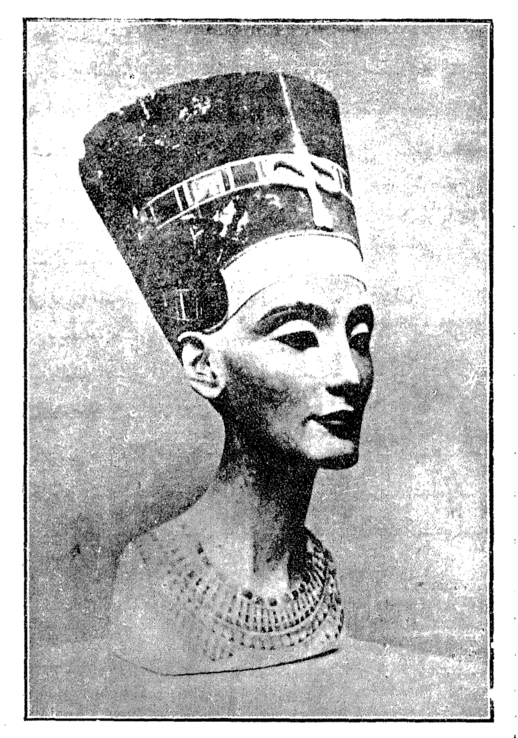
(71) Inscription du temple d'Amon à Karnak. Cf. Gayet, Mém. Mis. C. t. XV, pl. 62-68. — Breasted, A. R, II, s.s 841. — Campbell, The miraculous birth of...





الى اليمين
الملكة
حتشبسوت
والى اليسار
الملك
تحوتمس
الثالث

نقلا
عن كتاب
Davis,
Tomb of
Hatshapsut



رأس الملكة نفرتيتي زوجة الملك اخناتون (والأصل بمتحف برلين)

وكان للفراعنة اعتناء تام بحفلات تتويجهم ، وجعله بصفة دينية تزيده وقعا واحتراماً فى النفوس . وعندما يختار الملك وقتا لهذا الاحتفال يخبر الشعب به . وبعد أتمامه فى الأماكن المعدة لذلك ، يصدر الفرعون بلاغا للشعب (٧٢) باسمه الرسمى الألهى والاسم الملكى اللذين يختار تسميته بهما

وكان من مقرراتهم لتعزيز السطوة والاحترام إقامة احتفالات رسمية فى أيام محددة من سنوات ملكهم ، و يبالغون فيها بنشر الفضائل والاحترامات الدينية و يسمونها بلغتهم أعياد «سد» و فى خلال مظاهر هذه الحفلات ، يحملون « عمود أزوريس » المعروف عندهم بكونه رمزاً للخلود والبقاء . (٧٣)

و يقصد الملوك باقامة هذه الحفلات تمكين العقيدة الاحتراميـة فى القلوب بتأليه وتعظيم الأسرة المالكة واجلالها ، والشعب لمجاملة مليكه يشترك معه فى هذه الاحتفالات تكريما لشخصه ولأسلافه .

وكان احترام الفراعنة لأجـدادهم احتراما قلبيا ، يشاركهم فيـه الأفراد والعظماء ، وتشمله الحكومة (٧٤) بنفوذها ومساعداتها لتلك المظاهر الكبرى كعبادات حقيقيـة ، يعظمون بها الملوك السـابقين (٧٦) كعبادة أمنوفيس الأول . (٧٥)

---

(72) Stèle du décret de couronnement de Thoutmès I. — Breasted, A. R. II, s.s 54.

(73) Moret, Du caractère religieux... e, p. 258. — Breasted, A. R, II, s.s 870. — Lepsius, Denkmaler, a, III, p. 76-77. — Brugsch, Thesaurus... b, t. v, p. 1120. — Gauthier, Temple d'Amada, p. 130-145. — Breasted, Temples of Lower Nubia, in American Journal of Semitic Language, October 1906, p. 5. — Griffith, The Jubilee of Akhenaton, c.

(74) Hornblower, Ancestor cult, b, p. 22.

(75) Cerny Jaroslav, Culte d'Aménophis Ier...

(76) Rouge, Mélanges d'archéologie égyptienne, t. I, p. 46. — Breasted, A. R., II, s.s 243 et et 807. — Maspero, Momies royales... a, p. 548. — Griffith, Stela... g. — winlock, Notes... e.

ولم يقصروا حفاوتهم بذكريات الملوك آبائهم وأجـدادهم فقط ، بل كان محموداً عندهم أن تقيم الأسرة المالكة الحاضرة تذكاراً واحتراما لملوك أسر أسبق منها فى التاريخ ، كما كان يفعله تحوتمس الثالث أحـد ملوك الأسرة ١٨ للملك سنوسرت الثالث أكبر ملوك الأسرة ١٢، والمدة بين عهدهما لا تقل عن أربعمائة سنة (٧٧) .

وفراعنة الأسرة ١٨ أثبتوا فى تصرفهم هذا اعتدالهم فى التـكريم التاريخى لاسلافهم ، رغماً عن تفاوت المدد والعصور ، وهذا بخلاف ما لوحظ على تصرفات فراعنة الاسرة ١٩ ، الذين لم يراعوا هذه الاحترامات التـكريمية لسابقيهـم من الفراعنة .

واستفاد الفراعنة باصرارهم على اتصاف أنفسهم بمعنى الألوهيـة استمرار سلطتهم ونفوذهم قويين أجيالا عديدة ، مع تطور الشعب واهتمامه بحقوقه القومية

واستطاع الفراعنة بقوة نفوذهم حصر السلطة فى أشخاصهم ، و بقوة سيطرتهم الادارية ، استطاعوا جعل كبار الموظفين كمراقبين على أحوال الشعب ، ونظام الحـكومة بألقاب أذيعت فى عصورهم باسم أعين وآذان الفراعنة (٧٨)

(77) Lepsius, Denkmaler, a, III, 47a et 56b. — Breasted, A. R., II, s.s 167.

(78) Moret. Le Nil... l. p. 328.



تحوت إله الحكمة (على شكل اللقلق)

حورس الملك الأله وخلفه عيون وآذان   وماعت الهة العدالة (على شكل امرأة)

فرعون الرئيس الديني والمهيمن على العدالة — وكان الفراعنة يحصرون أيضا فى أشخاصهم الرياسة الدينية والحربية ، والهيمنة عـلى العدالة ، وتمكين الأفراد من رفع ظلاماتهـم الى الملوك من أى حيف يشـكون مساسهم به من تصرفات الطبقات الحـكومية ، وانصاف الأفراد عند التحقق من صحة التظلم وثبوت القسوة فى المعاملة (٧٩)

واعتاد الفراعنة انابة بعض الاشـخاص الموثوق بهم ، كمفتشين فى افتقاد شؤون الشعب وتصرفات الحـكام ، وكان أولئك يتجولون فى الاقاليم لسماع الشـكاوى العامة للاطمئنان والسكينة . وكانت وصايا الملوك لنوابهم المذكورين لاتخرج عن كلمتين «حق وعدالة» ويكرر ذكرهما فى أغلب النصوص المعاصرة لتلك الأسرة ، وبذلك يستدل عـلى شعور الفراعنة بان الشعب ميال الى طلب الرقى فى أحواله واستقامته فى معيشته . (٨٠)

وكان من نتائج التقلبات التالية لقمع الثورات وتأييـد النظام ، ان الشعب تمتع بحقوقه الاصلاحية ، وأزيلت عنه مشاق الاستعباد ، فاحس الملك أمام هذا التطور القومى والحكومى بان عليه واجبات ملقاة على كاهله ، ومسئوليات تطابق صفة ألوهيته فى الحـكم والسيطرة ، وجعل نصب عينيه وفى مقدمة مقاصده السعى فى نشر العدالة والحق ، وظهرت آثار ذلك حتى فى مقارنة صناعة تماثيل الأسرة ١٨ المؤسسة على رقة فى الذوق ، ودقة فى الفن وبراعة فى العظة والاعتبار ، بما لوحظ فى تماثيل الدولة القـديمة (٨١) التى مع ضخامتها وأهميتها النوعيـة ، تدل على قسوة متناهية وغلظة مستنكرة

(79) Moret, L'appel au roi... c.

(80) Vérité, Justice étaient synonymes pour les égyptiens. Cf. Plutarque, Isis et Osiris, 3. Traduction de Mario Meunier, 1924, in-16, p. 25, n. 1.

(81) Boreux, L'Art Egyptien, b, p. 19 statue de Khefren, IVe dynastie, Musée du Caire.

وأدرك الفراعنة أن أهم الشواغل والآمال ؛ الاحتفاظ لسير الملك بالعدل والحكمة ، ولهذا كانوا يعتنون بتمرين من يكون ولى العهد منذ صباه على التصرفات الحكومية ، وانتدابه لاجراءاتها فى جهات أعالى النيل . وكان يطلق عليه لقب « الابن الملكى لكوش » (النوبة) (٨٣)

فاغلب ملوك الاسرة ١٨ حازوا أعظم صفات الحكمة والنبوغ ، ومجارات الظروف ، ونصروا العدالة ، واتخذوها أسمى رغائبهم ؛ ومنحوا مصر حياة جديدة فى العمران والارتقاء ، ولا نغالى اذا قلنا إنهم أول من نشر العدالة فى تاريخ الانسانية .

ولا يقال إن الرغبة الشخصية من فراعنة الأسرة ١٨ فى التحدث عنهم بعظائم الأعمال ، وا كتساب الثناء ، هى التى أدت بهم الى هذه المظاهر ، فان حقيقة أعمالهم تدل على أنه لم يكن لهم رغائب شخصية ، بل ان أمانيهم النفسية كانت تتحد فى الغاية والنتيجة بمصلحة الامة ، واستطاعوا باندماج كلى فى ذلك أن غرسوا فى شعور الشعب عقيدة راسخة ، بان من يؤدى خدمة لصالح الملك الاله ، فقد أدى مصلحة وخدمة للامة جمعاء ، و يكافأ عليها بالشكر فى الحياة الدنيا ، وحسن الثواب فى الآخرة أيضا .

وكان من أهم المقاصد وأشقها على فرعون ، تخيره عظماء الرجال وأكفاءهم لتقلد المناصب ، فلا يبالى فى تحقيق وجهته هذه لترقية أشخاص من المراتب الصغيرة الى المناصب العالية (٨٤) ومكافأة وزرائه وقواده بالأوسمة الذهبية والنياشين الرفيعة ، (٨٥) ولمبالغته فى تكريم عظمائه وتقدير مجهودات الحكام ،

---

(83) Maspero, Etudes de Mythologie. t. IV. 1900. p. 65. n. 3

(84) Voir infra notes 120. 121 et 122.

(85) Aménophis II décorant son ministre Rekhmara. Virey b. p. 15 et également son général en chef Amenemheb. ibid. p. 275.

كان يسمح لمن ينالون ارتياحه بأقامة تماثيـل لهم فى المعابد الشهيرة عـلاوة على إقطاعهم جانبا من الأراضى للانتفاع بالريع مدة حياتهم (٨٧) ويخصص البعض باراضى مقدسة للانفاق من ريعها فى نفقات جنازاتهم والأحتفالات الخاصة بقبرهم الأخير (٨٨) . وكثيراً ما كانوا يوزعون مكافآت ومنح فى الاحتفالات السنوية (٨٩) أو تقديم ما هو من قبيل الوسائل الجنازية لتكريم العظماء من الموظفين بعد وفاتهم (٩٠)

وظائف فرعونه المتنوعة — ومع ما كان لفراعنة الأسرة ١٨ من الاعباء المتنوعة الخطيرة ، ونفوذ سلطانهم ، وقوة رهبتهم من اتصافهم بالألوهية ، فكل هذه الاعتبارات لم تصرفهم عن العناية بانتخاب وزراء أمناء أقوياء ، متضلعين فى وظائف الحكم ، ليكونوا أعواناً مخلصين لهم ، وصادقين فى خدمة الدولة ، بقوة جأش وثبات عزيمة . و بتوفيق الفراعنة لانتخابهم هؤلاء الاعوان ، قدموا للعالم برهانا جليا على فرط ذكائهم ودهائهم فى الحكم .

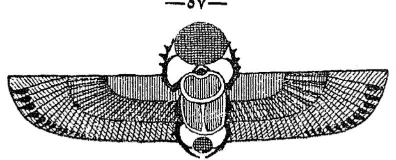
(87) Breasted. A. R. II. s.s 1-16.

(88) Mariette, Monuments divers... p. 14, pl. 47a.

(89) Cf. tombe de Amenken, trésorier d'Aménophis II. — Breasted, A. R., II. s.s 801.

(90) Schiaparelli, La tomba intatta... b.





الفصل الثالث

الادارة المركزية وأكابر الموظفين

الوزير ووظائفه العديدة — فرعون هو الرأس الكبرى فى حكومته ، ويليه فى المنزلة الوزير ، الذى كان يجمع ألقابا ووظائف عديدة دلتنا عليها بعض النقوش والرسوم الموجودة فى قبر رخمارا وهو أكبر الوزراء فى طيبا ، وعاصر ملكيها تحوتمس الثالث وأمنوفيس الثانى (٩١)

وكان الوزير ينوب عن فرعون حال تغيبه فى الغزوات ، وأعمال الفتح ، ويخلفه فى المظاهر الكبرى كرئاسة الاعياد الدينية ، التى كانوا يعتنون بتمجيدها ، لتبقى فى أفئدة الشعب وسائل الاجلال من الاحياء لطرق الابدية .

وكان الوزير بالاشتراك مع فرعون ، يباشر اختصاصات شتى ، وأعمالا متنوعة ، حتى فى مراجعة الاعمال الحسابية الموكولة لخبراء بها ، ويتحد معه أيضا فى التواريخ التى تقرر لافتتاح الجسور ، وأعمال الرى ، ومواسم الحصاد فى الاقاليم (٩٢)

---

(91) Maspero, La vie de Rekhmara, s. — G. Farina, Le funzioni del Vizir...—Sethe, Urkunden..., t. IV, p. 1103. — Breasted, A. R., II, s.s 663 s...

(92) Virey, Tombeau de Rekhmara, b. — Newberry, The life of Rekhmara... a, p. 18-19. — Gardiner, The installation of a Vizier, a.

وكان الوزير يوميا يبـدأ أعماله بمقابلة فرعون ، والتحدث معـه فى أهم الشئون الحاضرة ، ثم ينتقل الى محـل رياسته ، وفيها يستقبل رجال الحكومة ، وعظماء موظفى المملـكة ، الذين يعرضون عليـه أوامرهم بالاحوال اليوميـة ، عملا بالدساتير المقررة ، و يعرضها هو بعد ذلك على فرعون ، ومايحتاج الاقرار منه على مشروعاته يعطى إقراراً كتابياً باعتماده قبل البدء فى الاجراءات .

وكان الوزير لقيامه بالعدل(٩٣) ذا احترام كلى فى قلوب الشعب ، وكان يرتب الاعمال اليومية لساعات محددة فى قصر العدل ، بعضهـا لاستقبال العظماء ، و بعضها لقبول الشكايات من الاهالى . وما يكون منها نظر فى دائرة قضائية ، فرأيه فيها يعتبر كهيئة استئنافية ، تمحو وتثبت ما يشاء من أحكام الدرجة الاولى .

والمعلومات التى استطعنا الوصول اليها ، وجدت بالاسف خالية من نصوص الشرائع التى كانت متبعة فى تلك العصور . ولكن يعزينا عن ذلك أن مصر فى حكوماتها الأولى ، كانت متبعة لنصوص قانونية ، راسـخة مرتبة فى أربعين ملفا تكون على الدوام أمام الوزير متى جلس للحكم . (٩٤) ولم يكن صدور الاحكام مبنيا على رأى مطلق ، بل يرجع فيـه إلى الشرائع المرسومة التى تأمر بالعـدل و إنصاف الانسان . (٩٥) و يكفى فى التأكد من ذلك مراجعة التعليمات التى كان يصـدرها فرعون الى وزرائه ، وكلها إرشاد والفات للقيام بالانصـاف كقوله : «يجب أن يهيئ الوزير نفسه لما يصلح به لتقلد منصبه ، فهو ليس لمجرد الاستمتاع ، بل للتمسك بمناهج العدل الثابتة . فأن الله يأمر بالعـدل والاحسان ، ولا يرضى التحيز فى الاحكام ولا الاتصاف بالاهواء »

(93) Cf. supra, p. 36.

(94) Breasted, A History of the Ancient Egyptians... f, p. 200. — Revillout, d, p. 187.

(95) Breasted, A. R., II, s.s 675, 712,715 — Spiegelberg, Studien und Materializen...

ويكلف الوزير أن يبنى رأيه فى المسائل التى يرى البت فيها على أسانيد وبراهين عادلة ، يبتهج بهـا ضميره كلما جال ذكرها فى خاطره ، تطبيقا للأمر الفرعونى الصادر اليه بذلك « وبأنه لا يقصى من مجلسه أحد طرفى الخصوم وقت الدفاع ، إلا اذا أقنعه بالاوجه المستوجبة لذلك ، ليقتنع الخصوم بان رهبة العدل راسخة فى النفوس قبل كل شئ ، فتزداد بذلك كرامة الحاكم وهيبته بمقدار احترامه للعدالة وتعميمها » . (٩٦)

وبعد العناية التى بذلهـا فرعون فى ترتيب الأدارة المركزية ، والمناصب الرئاسية ، راق لديه توزيع السلطة بين وزيرين وذلك ابتداء من الأسرة ١٨ ، أحدهما حاكم مصر العليا ومقره هليوبوليس ، والثانى مقره الوجه القبلى ابتداء من أسيوط ، (٩٧) وهو حاكم طيبا الذى احتفظ لنفسـه بأن ينوب عن فرعون فى شأن المملـكة حين غيابه .

امين الدولة — ويلى منصب الوزير فى الاحترام عند فرعون من يلقب « أمين الدولة ، وحافظ البيت المزدوج للذهب والفضة » ، المـكلف بمراقبة الموارد والمصارف ، وافتقاد مفرداتها ، وتقرير وسائل نموها ، وتوازن الايرادات والمصروفات . فـكان صاحب هذا المنصب على اتصال دائم مع فرعون والوزير ، ويكوّن منهم شبه ما يسمى عندنا الآن (مجلس الوزراء) فينظر فى تقرير موارد الثروة ، والجمارك ، والغلال ، وإعداد مخازن لها ، وتقسيم هذه الاعمال بين من يقومون بها تحت رياسة الأمين المذكور (٩٨)

رئيس المهندسين المعماريين — وكان من النظامات الحكومية فى الدولة

(96) Sethe, Die Einsetzung das Vizirs, b. Traduction de Moret, Le Nil... I, p. 332.

(97) Gardiner, Inscription of Mes, iv. b.

(98) Moret, Le Nil... I, p. 321. — Breasted, A. R; II, s.s 371

رئاسة المهندسين المعماريين ، التى يقلدها من اشتهر بالبراعة فى الفنون المعمارية ، وأخصها ما يتعلق بتشييد الآثارالفخمة للمظاهر الابدية بأنواعها . وكان سمنوت من رؤساء المهندسين المعماريين ، ذوى الشهرة والاحترام فى عهد الملكة حتشبسوت بالكرنك والأقصر والدير البحرى، ثم يليه فى الشهرة والمكانة الفنية حرمونتيس الذى كان أكبر موظفى القصر فى عصره . (٩٩)

الحكام — ولتسهيل الاعمال رأى فرعون تقسيم البلاد المصرية إلى أقاليم (١٠٠) ، كل إقليم يقوم بشؤونه حاكم مسئول ، يتلقى الاوامر من مركز الرئاسة الأعلى . وكانت طيبا عاصمة مركزية لحكومات تلك الاقاليم ، والحاكم عليها كانت له صفة امتيازية ، كالتى كان يتمتع بها رخمارا ، ولذا كان يجمع فى وقت واحد بين لقبى حاكم طيبا ووزير الوجه القبلى .

واجتماع المناصب المتعددة والوظائف الكبرى فى شخص ، دليل على سمو استعداده واقتداره ووثوق فرعون به . ويوجد فى نقوش المقابر ألقاب متعددة لبعض العظماء للأسرة ١٨ ، ونتج من ذلك عدم التمييز بين الموظفين الملكيين والدينيين والحربيين ، ومن عظماء الرجال الذين حازوا أعظم الالقاب : «تحوتى» إذ جمع بين وظيفتى أمين خزانة الملك . ورئيس أنبياء هرمونتيس(١٠١) وكذا رخمارا » الذى تقلد منصبى وزير ورئيس إدارة أملاك المعبود أمون (١٠٢) ، وكذا (حبوسنب) فقد جمعت فيه وظائف وزيرالملكة حتشبسوت ، ورئيس كهنة للمعبود أمون ، ورئيس أنبياء الوجهين البحرى والقبلى (١٠٣) وقد امتاز (منموز) باعمال باهرة فى الشؤون الحربية بالنوبة ، بعهد الملك تحوتمس الثالث ، فمنحه

(99) Lepsius, Denk. III, 25 bis.—Breasted, A. R., II, s.s 345
(100) Braested, A history of the.., f, p. 197.
(101) Breasted, A. R., II, s.s 371.
(102) Virey, Tombeau de Rekhmara, b.
(103) Breasted, A. R., II s.s 388.

وظيفة مدير أعمال فى معبد جميع الآلهة ، ونبى فى المعابد التى كان يديرها (١٠٤)

وأغلب هذه الالقاب كانت تمنح لذويها كعناوين شرف (١٠٥) وافتخار تقديراً لمكانتهم ، وتعظيما لشهرتهم ومكافأة لخدمات جليلة أدوها ، ولمن كانوا أصحاب اقطاع فى عصور قديمة .

وكانت لامراء (الكاب وطينة) مكانة عند فرعون ، لانهم كانوا ذوى أنساب مكرمة . فلما جردوا من بعض أملاكهم ، اكتفى فرعون بجعلهم ضمن ضباط التاج ، (١٠٦) وألحقهم أخيراً بوظائف كانت تعرف وقتها باسم « الكبراء المباشرين للحرب » (١٠٧) .

وكان الفراعنة يسمحون بمكافآت أدبية ، لبعض من كانوا يبذلون حياتهم فى خدمتهم ، لئلا تطمح نفوس بعض الامراء الى الاستقلال ونحوه . ومن هذه المكافآت احتفاظهم ببعض المقربين فى حكومات العصور الاولى ، وكونوا منهم بلاطا حقيقياً فى حياة فرعون العائلية ، ومنحوهم ألقابا رفيعة كلقب (أماخو) أى أمناء جلالة الملك . وكان الاتصال بفرعون ، الذى هو إله فى الارض ، من أكبر أسباب السعادة للحاصلين عليها . ولقب (أماخو) كان يضاف الى وظائف فعلية مكرمة فى المملكة ، وهى أكبر المنح الملكية لعظماء الرجال (١٠٨) .

وأولئك العظماء أرباب الاقطاع فى الحكومات الأولى ، بعد التحاقهم فى البلاط الملكى ، لما ازداد عدد أمثالهم ، حازوا شرف الثقة عند فرعون ،

(104) Drioton, Médamoud, c, p. 56.

(105) Cf. sur les fonctions de Recteur : Bouriant, Mém. Mis. t. V, p. 418 et sur les fonctions de Laorite : Legrain, Sur le premier... h, p. 260.

(106) Maspero, Les momies royales... a, p. 639. - Moret Le Nil... l, p. 277.

(107) Breasted, A. R., II, s.s 17, 344, 763.

(108) Moret, La condition des féaux..., d, p. 112-136.

واستوطنوا عاصمة الملك ، وصاروا موظفين عاديين لديه (١٠٩) .

وكان أصحاب الاقطاع القديمة رجال فتنة فى الدولة ، فلما جردهم فرعون من أملاكهم ، لازموا الطاعة والاخلاص ، واندمجوا فى سلسلة الوظائف المصرية ، فصار فرعون آمنا مطمئنا من شرورهم .

وعلى أثر ذلك ظهرت قوة شاغلة لسلطة فرعون ، تنمو كل يوم عما قبله فى مظاهر سلطة الكهنة .

وكان لكل إقليم وكل مدينة اله محلى وتقوم بخدمة كل إله زمرة من الكهنة ، تتفاوت سلطتها بتفاوت درجة الأهمية لذلك الاله فى سلسلة الآلهة المصرية

ولاجل أن يستميلهم فرعون اليه ، منحهم عطايا وافرة ، وأفاض عليهم من هباته العقارية أطيانا واسعة ، ليشتغلوا باستثمارها . وقد أصابت فكرته وتحققت فراسته ، فقد عمدوا إلى تنظيم مزارعهم وقسموها دوائر رحيبة ، ورتبوا لها موظفين وعمالا أشبه بالادارات الحكومية .

كبراء الكهنة والانبياء الاولون — وكان لكل طبقة من الكهنة رئيس يدعى : « كبير الكهنة أو النبى الاول » وله سلطة على الباقين ، تشابه سلطة الوزير فى الادارة المدنية ، وتتفاوت منزلته بدرجة مكانة الاله التابع له الاطيان القائم بادارتها . ومن بين أولئك الرؤساء رئيس كهنة ازوريس ، ومركزه فى ابيدوس (١١٠) ورئيس كهنة رع ، ومركزه فى هليو بوليس (١١١) ، وكان لهما نفوذ عظيم فى الدولة .

---

(109) Virey, Rec. Tr. t. IX, p. 27 s. Mém. Mis. t. V, p. 362. - Maspero, Manuel de •l hiérarchie... o.

(110) Revillout, Rev. Egypt. t. VIII. p. 132. - Breasted, A. R., II, s.s 184. - Mariette, Abydos, II, p. 33.

(111) Arthur Weigall, The Life and time of... d, p. 18.

اكليروس طيبا وابيدوس وهليوبوليس — وأخذت هيئة الكهنة بتنظيم مراكز دينية لها، تضاهى المراكز الملكية، فجعلت أمون الهطيبا (عاصمة الدولة المصرية) أكبر الآلهة، كما كان المعبود «رع» فى مدينة هليوبوليس فى عهد العصور الاولى. وقد شبه أمون برع، وسمى «أمون رع»، وصار رئيساً لجميع الآلهة المصرية.

وكان لكهنة طيبا أعظم نصيب من سخاء الفراعنة، الذين اعتقدوهم خلصاء لهم، ولكن اولئك الكهنة لم تنكف مطامعهم، بل استمرت فى ازدياد، طلبا لزيادة سلطانهم المادى.



الاله امون رع

وكونت هبات فرعون (من منقولات وعقارات ونفائس هامة) دوائر مالية زراعية، خصصت لكهنة الاله أمون. ويوجد بجانب طيبا، (مركز ادارة فرعون العامة)، أملاك تدعى بلغتهم «نويت رسيت» وهى أقطاع واسعة للمعبود أمون، يديرها حاكم وموظفون بنظام أشبه باقطاع الاديرة الاوربية فى القرون الوسطى (١١٣)

وكان الكاهن الاكبر لأمون أو النبى الاول؛ هو رئيس الكهنة المصريين (١١٤) وفى عهد الملكة حتشبسوت جمع «حابوسنب» فى شخصه سلطة الادارة الملكية بصفة وزير، وسلطة ادارة أوقاف المعبود أمون فى طيبا، كما كان (افتاح مس) النبى الاول لأمون فى عهد الملك امنوفيس الثالث حاكما لطيبا. (١١٥)

(113) Maspero, La vie de Rekhmara... s, p. 544. —Legrain Notes sur le Nouit-Risit, d.

(114) Breasted, A,R., II, s.s 388.

(115) Legrain, Les statuettes funéraires... c.

والحق أن منح بعض هذه الالقاب لبعض الموظفين ، كان من باب الزيادة فى الاعتبار ، وتشريف المكانة للمنعم عليهم بها . فامام هذه الحقائق لايمكن التمييز فى المراجعات التاريخية ، بين ما يكون قد منح بعض هذه الالقاب منحا حقيقيا فعلياً ، له أثره فى الهيئة الحكومية ، و بين ما يكون قد منحها للاعتبار والشرف والافتخار للمختصين بها فقط

وكان للكاهن الاول للمعبود أمون ، من عظم الشأن والمكانة ، مالم يكن لغيره ؛ ويليه الكاهن الثانى لهذا المعبود ، فقد كانت لهشخصية محترمة ومكانة سامية . وفى عهد الملكة حتشبسوت (١١٦) شغل مثل هذه الوظيفة الكاهن «بويمرع» ، وكان نفوذه واختصاصاته أكثر انطباقا على اختصاصات ونفوذ أمين الدولة فى الادارة المدنية .

وفى عهد الاسرة ١٨ كان للجيش نفوذ قوى يشجع على منحه نوعا من الاستقلال الذاتى ، إذ إليه يرجع الفضل فى قمع ثورات الاجانب واخراجهم من مصر ، ومقاومة الولايات الآسوية ، ومحاربتها فى وسائلها الاقتصادية .

وكان من مألوفات ذلك العهد (قوميا وحكوميا) تكريم نفسية الجنود ، وتقدير أعمالهم العسكرية والدفاعية ، فلهذا كانوا يمنحون أوسمة متنوعة من الذهب والفضة ، ومنها بعض نماذج ثمينة كالاساور والعقود ، وقلوب فضية وذهبية ، وقبضات السيوف وأسلحة الشرف ، يمنحونها عقب الانتصارات والغزوات ، وكانوا يتفاخرون بحملها فى أعناقهم (١١٧) وصدورهم ، علاوة على منحهم هبات تشجيعية للانتظام فى سلك الجندية ، بعضها من الاراضى الزراعية للانتفاع بها ، بعد تمضية مدة الخدمة العسكرية على وجه التمليك ، و بعضها على سبيل الانتفاع

(116) N. DE Garis Davies, The tomb of Puyemre, n.
(117) Sethe, Alloegyptische... a, p. 143.

مدة تضاهي وقت خدمتهم العسكرية ، وكانت الأراضي التي تعطى صفات التمليك يجتهد العظماء في اقتنائهم ، ولو أجزاء صغيرة منها ، لتكون لهم أسوة في فرعون في اختصاصه بتملك الأراضي ملكا ذاتياً .

(تنو) أو رؤساء الجيش — ويدعى من يقلد رئاسة الجيش بلغتهم «تنو» ، ويجمع بين وظيفتي رئيس القواد والأمين الأول للجيش ، وكانت هذه الوظيفة أكبر أنواعها في سلسلة الوظائف العسكرية المصرية ، ومن يتقلدها يكون من كبار العظماء ، وكان من بينهم « حرمحابي » الذي آلت اليه في أخريات أمره رئاسة الأسرة التاسعة عشرة (١١٨).

وقد يتساءل الباحث لماذا لم تخصص الوظائف العالية (مدنية ودينية وعسكرية) لبعض العائلات الكبيرة ؟ ولكن عدم الحرص على هذا المبدأ ، لم يمنع من وجود ألقاب و وظائف عالية ، منحت للبعض كالأمير الوريث، مما يدل على أن الابن كان يرث أباه في وظيفته ومظاهره . وهذه القاعدة لم تحترمها الأسرة ١٨ بالدرجة التي كانت عليها قبل الأسرة ١٢ ، فان أرباب الوظائف فيها كانوا يحرصون على تمتع أولادهم بوظائفهم ، ويخاطبون الوزير بقولهم : « أيها الحاكم اليك المرجع في الأحوال ، وحفظ المعابد ، وقواعد التشريع ، ومبادئ النظم المسيرة للجماعات ، الكافلة بقاء كل شيء على أساسه » . وكانوا بمقتضى ذلك ينقلون الوظائف من الآباء للاعقاب بدون تغير أزمانا طويلة (١١٩)

وهذه المخاطبات من الجماهير للوزراء ، كانت بطريق المجاملة والتزلف ، استبقاء لرغباتهم ، والا فمن الحقائق الثابتة أن فرعون كان يقبل في دائرة بلاطه

(118) Bouriant, Mém. Mis. t. V, p. 419-420. — Jean Capart The Memphite Tomb...

(119) Virey, Mém. Mis. t. V, p. 8. Cf. également Breasted A. R., II, s.s 925—Drioton, Medamoud, c, p. 56.

الأبناء المهذبين (ابناء الأمراء) يتمرنون فى الأعمال ، وكان يختار من يثق به منهم خلفا لأبيه فى وظائفه ، وأحيانا يختارهم على سبيل المكافأة الاستثنائية لعائلات قاموا بخدم مشكورة فى وظائفهم العالية .

الغاء مبدأ الوظائف الوراثية — وهذا النظام الأدبى الذى كان يسير عليه فرعون ، لم يكن خضوعا لنظام مفروض ، بل لرغبته فى تشجيع المخلصين الأكفاء (١٢٠) و يسمى ذلك الغاء لوراثة الوظائف ، الذى كان نظاما مقدسا فى السابق ، وفرعون هو القائل : « لا تميزوا فى الوظائف بين أبناء الفقراء وأبناء الأشراف ، وانتخبوا ذوى الكفاءة والاقتدار » . ومن الأدلة على ذلك « حنوسنب » الذى كان وزيراً للملكة حتشبسوت ، وكبير كهنة أمون ، فقد امتاز فى عصره بشهرة لم يبلغها غيره ، وكان أبوه مستخدما حقيراً (١٢١) ومثله ذلك الذى اعترف على شاهد ، بأنه كان من عائلة حقيرة ، ومن بلدة صغيرة ، فاحترمه فرعون وجعله من كبار الأشراف وخاصة أمرائه . (١٢٢)

وكان اختيار فرعون لكبار الموظفين ، المدنيين وأمثالهم ، ينفذ بمحض إرادته ، ووظائف الكهنة (١٢٣) عند ترقية أحدهم ، كانت تحتاج مصادقة الرئيس الدينى عليها عند الاحتفال بتقليده .

(120) Les enseignements de Merikara, s. 15-Cf. Moret, Le Nil... l, 302 et La Nation... m, p. 218.

(121) Newberry, A statue of... b, p. 31-36.

(122) Breasted, A History... f p. 202. Musée de Leyde Stèle V. I.

(123) Capart et Spiegelberg, Annales de la Société d'Archéologie de Bruxelles, t. XVII 1903 p. 19,82

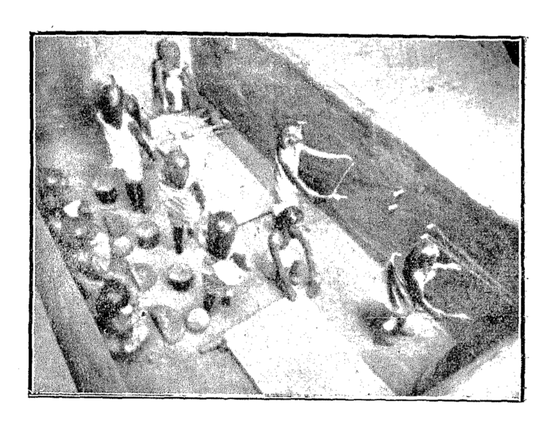




سادساً الاغنياء والفقراء — كانت أفراد الشعب المصرى ، أغنياء أوفقراء ، متضامنين فى عهد الأسرة ١٨ ، ولكل طائفة جمعيات ترتب مهنتها ومهماتها وأعمالها ، بقوانين تحدد صلتها بالجمهور و واجبات كل شخص .

فكان عمال النسيج للكتان (١٢٤) وغيره ، والمشتغلون بأقامة القنوات (١٢٥) والمحاجر (١٢٦) والبحارة (١٢٧) والمزارعون (١٢٨) حتى عمال الاصطبلات (١٢٩)والغسالين (١٣٠) يكونون لطوائفهم زعماء يعاونونهم فى الرأى وفى المحافظة على حقوقهم مع بعضهم ، وفى رغباتهم ومطالبهم من الحكومة ، وكان اتحاد العمال على هذا المبدأ ، يؤدى أدواراً تستلفت اليه نظر الحكومة بواسطة جمعياتهم تحت إدارة رؤساء عثرنا لطمقات منهم على بعض الصور المرسومة فى القبور .

(124) Robert Mond , Report in the... p. 18
(125) Ibid. p. 20.
(126) Mariette, Monuments divers... p. 6 pl. 26.
(127) Breasted A. R. II s.s 39 — Lepsius Denkmaler. III 12 a et d
(128) T. H. Greennlees , An unusual
(129) Mariette, Monuments divers... p. 23 pl. 70
(130) Bruyère, Deir el Medineh, c, p. 84.



ورشة نساء يشتغلن فى الغزل (والاصل بالمتحف المصرى)

دور الكتبة — ولتلك الجمعيات كتبة (١٣١) ملمون بما يحتاجون اليه فى الشئون الأدارية ، إذ كانوا يعرفون الخط الهيروغليفى ، ومبادئ الشرائع والقوانين الأدارية وأساليب المراسلات فى مخاطبات الدوائر الحكومية ، وبلاط الملك ، وباقى الجهات الرئيسية (١٣٢)

جمعيات السارو والكنبتيو — وكان أولئك الكتبة لبراعتهم فى أعمال الجمعيات وإدارتها ، يجتهدون فى حفظ كيانهم ومظاهرهم ، حتى استطاعوا أن ينتخبوا من بينهم « السارو » ، وهم مشاهير الأعيان الذين تتألف منهم الجماعات الكبيرة المحلية المعروفة عندهم بلفظ « كنبتيو » .

---

(131) J. Baillet, Idées morales dans l'Egypte antique, p. 52. — Th. Gomperz, Les penseurs de la Grèce, t. I, p. 147 et t. II, p. 267.

(132) Moret, Le Nil..., I, p. 313.



رسم لكاتب جميل من الأسرة الرابعة
(والأصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى)
(نقلا عن كتاب)
Guide de Maspero fig. 18

والاصل فى ايجاد « السارو » اعتيادهم من القديم ، على أن يجتمع فريق من الأعيان والشيوخ على رؤوس الطرق ، الموصلة من القرى الى المدائن فى أيام الأسواق ، ومفاوضتهم فى أحوالهم الحاضرة المقصودة بالذات من هذا الاجتماع .
وكانوا بواسطة اتحادهم فى الرأى، يعتبرون كوسطاء بين العمال والسلطات المحلية(١٣٣)

(133) Maspero, Revue Egyptologique, 1912, no 38.

واشتهر أولئك الكتبة ، وعرفوا بالذكاء والدراية ، وصاروا قدوة يعول على رأيهم ، فانتخبوا فى الجمعيات الحكومية الممثلة لأعضاء الهيئة المركزية ، ولم يتيسر لنا الوقوف على طريقة تعيين هؤلاء الأشخاص المدعوين « كنبتيو » .

وكما كانوا أعوانا للوزراء ، كانوا أيضا الأعضاء الحقيقيين للادارة المحلية ، وينظرون كأول درجة فى القضايا والخصومات المعروضة عليهم ، ويعاونون الحكومة المركزية فى اصلاح أغلاطها .

الخبراء « سخرو » — وكانت تلك الجمعيات تتطلب « وصولا لصواب الرأى فى المسائل المعروضة عليها » انتداب خبراء فنيين منهم ، للأخذ بتقاريرهم فى الحقائق التى ينشدونها ، وبهذا ثبت أن الاستعانة بآراء الخبراء كانت معروفة فى ذلك العصر باسم « سخرو » (١٣٤)

ومن فوائد الاستعانة بتلك الجمعيات ، منع حيف الرؤساء على صغار العمال ، الذين كان لهم علاوة على ذلك حق التظلم للملك مباشرة اذا كانت قراراتها مجحفة بهم (١٣٥)

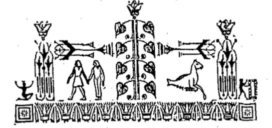
انتشار « نمحو » — وباتباع هذه النظامات استطاع الأفراد الفقراء المعروفون باسم « نمحو » ، معرفة حقوقهم والمحافظة عليها ، وبعد أن كانوا موضوع احتقار وازدراء ، صاروا مرادفين للرجال الاحرار . (١٣٦)

---

(134) Petrie, The Palaces Titles... p, p. 116. — Lourie, A note on Egypt Law-courts.

(135) Moret, L'appel au roi... c, p. 147.

(136) Spiegelberg, Zeitschr. für ag. spr.t. LIII, 1917, p. 116





الفصل الخامس

الأسرة المصرية وأدوارها

المجتمع العائلى « ابت » — ومما هو جدير بالملاحظة ، أن التأثير المتغلب على المبدأ الاقتصادى والاجتماعى ، المرتبط بالمجتمع العائلى (ابت) فى الأمة المصرية ، له نظام سياسى قائم على مظاهر حكومة اشتراكية .

وفى العصور الأولى كانت مظاهر الأسرة قاصرة على الممارسات الجنازية فى تعظيم الأسلاف المؤلهين ، ولها نظامات قوية لا يحيدون عنها ، و يعتقدون سريان آثارها فى العالم الثانى . (١٣٧)

وفى عهد الأسرة ١٨ أقلعت العائلات عن التفانى فى العكوف على القبور وانتظمت فى مظاهر الحياة المدنية ، واستطاعت مخالطة الحكام ، والتدرج فى مراقى النظام الاجتماعى . (١٣٨)

وأدرك الأغنياء والمزارعون أنهم أعضاء الشعب كله ، فكونوا عائلاتهم لخدمة أرض واحدة ، واتحاد فى الصناعة ، فصارت الأسرة لا تعتبر نفسها قاصرة على أفراد الأب والأم والأبناء فقط ، بل اعتبرت جميع الأصهار والأصدقاء أفراداً منها ، وكبير الأسرة (البكرى) هو رئيسها ، الذى تعترف له الحكومة بالسيطرة ، وتخول له امتيازات رسمية عائلية .

---

(137) Moret, Le Nil.., I, p. 300.

(138) A. J. Hubbard, The fate of Empires, 1914, 220 pp.

رئيس العائلة وأدواره — وأصبح رئيس الأسرة بهذا الاعتبار كموظف من قبل الحكومة ، ومسئولا عن تربية أفرادها ، وتجزئة العمل بينهم ، وحصر أعيان الثروة ومواردها ، وترتيب التوريث فيها ، بعد مصادقة السلطة المركزية ، ويدون جميع الاجراءات لتكون بمثابة عقد مسجل ، وهذه الامتيازات تجعل عليه واجبات شديدة ، اذ أصبح مسئولا عن جميع أفراد الأسرة ومطالب الحكومة عنها .

المرأة ومزاياها — وذلك لم يمنع المجتمع العائلى من الاعتراف ، بما كان للمرأة من حقوق كالرجل ، ومن أن الحكومة كانت تعترف لها برئاسة العائلة (١٣٩) فالمرأة المصرية فى هذه الاعتبارات مساوية للرجل ، ولها أن تكون ذات أملاك خاصة ، وتشترك مع زوجها وأخواتها فى حفلات العبادة للأسلاف وعبادة الآلهة الاهليين (١٤٠)

وعرفت للمرأة فى الأسرة المصرية مكانتها فى سائر الحقوق ولكننا لا نستطيع الجزم بان الولد كان ينقل عنها اسمها فى تسميته ، ومعروف أن البنوة تنتقل فى مصر بالأفضلية بواسطة المرأة ، حتى لا تنقطع سلالة الاجداد (١٤١) ، ومع كل هذه الحالة فالرجل هو الرئيس العائلى ، ولا تكون المرأة رئيسة عائلة إلا اذا صارت أرملة وكان أولادها صغاراً (١٤٢)

والمرأة ليست أقل فى الاعتبارات الوراثية عن الرجل ، والمبدأ المقرر أن بواسطتها ينتقل حق التوريث فى الملك بالأمومة أو الزوجية للغير ، وعلى هذا المبدأ استولت الملكة حتشبسوت على عرش الملك ، لان أبويها من سلالة ملكية

(139) Moret, Le Nil... I, p. 318.
(140) Moret, Sphinx, 1900, t. III, p. 30
(141) Glotz, La civilisation Egéenne..., p. 169.
(142) Moret, Le Nil... I, p. 318.

بخلاف أخويها فان والدتهما كانت احدى محاظى الملك .

وقد ذكرنا أنه (١٤٣) بسبب التوريث عن المرأة فى الملك ، كان فرعون متى تزوج أختـه يدعوها أخته لا زوجته فقط ، والظاهر أن زواج الأخوين لم يكن متبعا فى طبقات الشعب ، بل مقصوراً فقط على أحوال شاذة مثل توارث العرش . (١٤٤)

وكما كانت المرأة فى أدوار الحياة مشاركة للرجل ، فهى فى ذلك مثله فى الأحوال الدينية ، وتقلد الوظائف العالية ، كما كانت الملـكات تدعين زوجات أمون أكبر الآلهة .

وألقاب الـكاهنات والنبيات للنساء ، لم تـكن لمحض الشرف الافتخارى ، بل كانت لازمة لوظائفهن الـكهنوتية ، (١٤٥) . ومن هذا القبيل كان منهن مغنيات الآلهة ، المساعدات فى الحفلات الجنازية . (١٤٦)

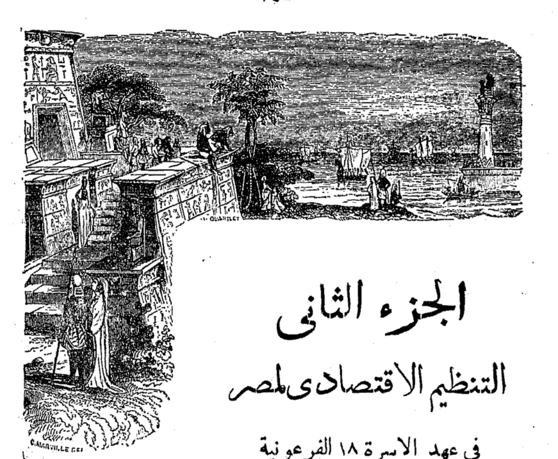
فأدوار المرأة فى الحياة الدينية والدنيوية كانت عـلى مكانة عظمى ، تشمل الأدوار الأجتماعية مثل الحفلات الجنازية وغيرها ، التى أقيمت للآلهة ، لأنها كانت تمثل أكبر عقائد المصريين ، المؤسسة عندهم على قصر الامد فى الحياة الدنيا ، وأنها مرحلة موصلة للحياة الأبدية مع الآلهة والملوك .

(143) Voir No 66

(144) Mercer, Egyptian morals... c.

(145) Blackman Aylward, Position of ... a, p. 27.

(146) B. Bruyère, Deir el Medineh, c, p. 70. — Boussac, Tombeau d'un astrologue thébain.



الجزء الثانى

التنظيم الاقتصادى لمصر

في عهد الاسرة ١٨ الفرعونية

الفصل الاول

— حكم الملكية —

لما استطاع فراعنة الأسرة ١٧، و بعض من وليهم من الاسرة ١٨، طرد الرعاة (١٤٧) من مصر ، اتخذوا تلك الهدنة فرصة سعيدة مكنت جيوشهم من استرداد الأراضى التى كان احتلها هؤلاء المطرودون، واستعاد الفراعنة أيضا، بثبات الجيش وصدقه ، جميع الأراضى المغتصبة وأراضى أصحاب الأقطاعات . و بعد اطمئنان الاحوال ، وانقطاع دابر أولئك المتمردين ، صار فرعون ملكا على مصر كلها ، وصاحب الأمر والنهى فى جميع أراضيها . ولم يبخل ببذل العطايا والمكافآت لجميع المحاربين والأبطال الذين امتازوا بالشجاعة فى ميادين القتال ، وجعل بعض تلك الأراضى لاستدامة انتفاعهم بها فى حكم الوقف عليهم .

(147) Voir No 21 .

وكان الأشخاص المنعم عليهم بها ، يحتسبونها ملكا خاصا (١٤٨) لأفرادهم وتنقل ملكيتها من الآباء لأكبر الأبناء ، وهكذا بشرط أن تصادق الهيئة المركزية على ذلك ، لان فرعون كان حريصا على استبقاء الملكية المطلقة لشخصه .

الاراضى الموهوبة للجنود — وبعد أن كانت هذه التبرعات عامة فى بدء الاسرة ١٨ (١٤٩) لمن قاموا بالخدمات الحربية فى الغزوات والفتوحات ، خصصت بعد ذلك بالمنتصرين فى غزواتهم بآسيا والنوبة .

والهبات العقارية لمن ذكروا ، لم تكن الا بكميات محدودة ، روعى فيها عدم الافراط فى منح الاطيان الواسعة ، حتى لا يعيد الدهر حوادثه باسترجاع النفوذ لذوى الأقطاعات القديمة ، الذين كابد الفراعنة معاناة فى التغلب عليهم وقد خصها فرعون بالقواد الصادقين ، ورجال الجيش الأمناء ، على قدر الكفاية ، لا بالأفراط فى سعة التمليك وبهذا كان الجيش فى عهد الأسرة ١٨ العون الامين للفراعنة الحاكمين .

وكانت هبات فرعون لجنوده المنتصرين على هذا النمط من القلة فى كمياتها وعدم الأفراط فى جعلها مساحات متسعة كالسابق ، أنفع للمنعم بها عليهم ، لأنهم كانوا ينتفعون بالتملك وتؤول لذرياتهم منفعة العين والريع . أما تلك الهبات الضخمة التى كانت متبعة قبل ذلك ، فكانت تخول المنعم عليهم الانتفاع بالريع فقط ، وبعد وفاتهم تجعل كتبرع يلحق بالموقوفات على عبدة الآلهة المحلية .

الاراضى الموهوبة للاكليروس — والهبات العقارية التى كان يتبرع بها الفراعنة لأماكن العبادة والآلهة ، كانت ايراداتها الزراعية وريع العقارات الضخمة المشيدة فوقها ، تخصص لنفقات الكهنة والقائمين بخدمة الآلهة : ويعتقد

(148) A. Moret, Un procès de famille, ap. Zeitsch. für ag. Spr. t. XXXII, p. 19-23.

(149) Cf. Biographie d'Ahmès, Lepsius, Denk. III, 12 a et d.

الفراعنة أنهم ساعدوهم فى الانتصار على طرد الرعاة ، لأنه لم يكن فى استطاعتهم التغلب عليهم بدون هذه المعونة من جانبهم .

الاراضى المخصصة لعبادة الاموات — وقد سبق القول (١٥٠) بأن التبرعات الجزيلة العقارية ، والكنوز والنفائس ، التى كان يهبها فرعون لرجال الأكليروس لم تكن باخلاصه لهم فى البر والاحسان ، بل لتأليف قلوبهم ، فيقوى نفوذه وسلطانه ، وما كان يخصص من الهبات العقارية للمعابد والآلهة ، يصير ملكا خاصا لجانبهم ، فلا يدخل فى الأحصاء السنوى للأراضى العامة المملوكة (١٥١)

ولهذا لم يستطع فرعون اعتبار تلك الأراضى الواسعة (١٥٢) فيما بعد ملكا خاصا لحيازته

وكان من عادات فرعون فى اجتذاب الشعب اليه منحه بعض الموظفين ، المدنيين والحربيين ، ومن يثق بهم من باقى الطبقات ، أراضى تجعل لحماية قبورهم ونفقات ولائمهم الجنازية (١٥٣)

كما كان فرعون يتبرع بالعقارات الشاسعة الأطراف لمن يمتازون فى خدمته من كبار الموظفين ويصرح لهم بانشاء المقابر (١٥٤) وتفخيمها بالنقوش والرسوم ، واحداث حدائق حولها ، كما كان يهب أيضا أجزاء عقارية صغيرة ، لمثل ذلك ، الى أعضاء الجمعيات المشمولة برعايته (١٥٥) .

---

(150) Voir No 112

(151) Breasted, A. R., II, s.s. 916, l : 31. A history of...

(١٥٢) وما كان منها مخصصا للمعبود أمون بالكرنك كانت مساحته فى ذلك العصر تبلغ ٢٠ كيلو مترا مربعا. —Bouriant, tombeau d'Harmhabi, Mém.Mis, t.v. p.413

(153) Mariette, Monuments divers recueillis..., p. 14, Pl.47 a.

(١٥٤) وإقامة شواهد بنائية شاهقة بجانبها ينقشون عليها بعض الحوادث التاريخية ساعدتنا فى معرفة كثير من الامتيازات الممنوحة .

Breasted, A.R.II, 1 Mariette, ibid

(155) Ostracons, no 5624 (1 et 2) du British Museum Ad·

وكان مباحا لكل شخص وهو على قيد الحياة اعداد المقبرة لحفظ جسمه المحنط، للتأكد من صيانته وصلاحيته لراحة روحه فى الحياة الثانية، لأنها بدون هذه الاستعدادات تكون عرضة للفناء والحرمان من لذة الحياة الدائمية، ويحرصون على الأحتفال بعباداتهم الجنازية التى كان أداؤها ميسوراً لجميع الطبقات (١٥٦)

استغلال الاراضى المعطاة للفلاحين — وباقى الأراضى الزراعية، التى لم تشملها التبرعات والهبات المار ذكرها، كانت لعائلات الفلاحين، يتعيشون من ريعها كشركة مساهمة شعبية (١٥٧) فهم المنتفعون بهامع استمرار التملك المعنوى لشخص فرعون

وإذا تساءل انسان عن المزايا والفوائد التى نالها الشعب بانتقاله الى الحكم الاجتماعى الجديد، نقول إن الشعب الذى كان كأجير ممتهن عند ذوى العقارات والأملاك الواسعة، أصبح عاملا حراً يعيش فى نظامات وقوانين تحفظ حقوقه وسعادته، ولا يرى سيادة عليه لأحد إلا فرعون وحده الذى فيه تنحصر السيادة وصفة الدولة كلها (١٥٨)

ملكية فرعون التامة لجميع الاراضى المصرية — وكان فرعون مبالغة فى نشر سلطته على الشعب، يأمر سنويا بجرد جميع الممتلكات العقارية والمنتفعين بها، وأرباب الصنائع، والمعروفين فى الاشتغال بها لتكون رهبته وعظمته ممثلة فى الارواح والقلوب، فلا يؤذن بانتقال ملكية فى أرض لغير مالكها، إلا باقرار الأدارة المركزية التى يقدم اليها أصحاب الاطيان والعائلات بيانا سنويا بالايراد والمنصرف، وأن لا يتداخل فى الحرف والصنائع غير الخبيرين بها.

Erman, Zwei Actenstücke aus der thebanischen Graberstadt, in Sitzungsberichte der Koniglichen Preussischen Akademie der Wissenschaften, 1910, p. 330 à 347). Traduction de : B. Bruyère Fouilles de... b, p. 8.

(156) Moret, Le Nil.., l, p. 320.

(157) Moret, La Nation... m, p. 250.

(158) Ibid., p. 253.



الفصل الثانى

الزراعة والحياة الزراعية



نظام الرى — باعتبار مصر أراضى زراعية، فحياتها الأقتصادية يتوقف تقدمها على نجاح وجودة الحاصلات المكونة للثروة (١٥٩)

والأراضى الزراعية تتجدد لها سنويا، وخصوصا فى منطقة الدلتا طبقات من الطمى الذى يجلبه اليها فيضان النيل فى مواسمه المعروفة فيحصل الخصب والرخاء

ويظهر أن ارتفاع النيل فى أوائل الأسرة ١٨ كان قريبا من مناسيب العصر الحاضر، وكان يلاحظ فى بعض السنين ارتفاع الفيضان على مستوى الاراضى الزراعية (١٦٠) فحتمت الظروف اتخاذ شروط لرفع الضرر وضمان الانتفاع.

وللفيضان شهور فى السنة (١٦١) لا يتجاوزها فى المبدأ والنهاية. والتجارب علمت المصريين طرق الانتفاع بخيراته فى جميع أدواره ، وكيف يستدركون الأمر إذا جاء قاصراً ؟

(159) Rostovtzeff, The foundations of Social... a, p. 161.

(١٦٠) ملاحظة لجران على المقياس ـ يمكننا أن نتخذ الارقام الآتية التى تمثل عدد الامتار فوق مستوى النيل: سنة ١٩٠٣ أرض زراعية ٢٥ ر ٧٧ متر ووقت الفيضان ٩٣ر٧٦م. وفى زمن تحوتمس الثالث ارض زراعية ٣٩ر٧٢م. ووقت الفيضان ٦٦ر٧٣ م.

(161) Voir P 17 .

وقد أكسبتهم الممارسة الطويلة خبرة واسعة استطاعوا بها أن يحصروا النيل فى مجاريه، وأن يستعدوا لتطوراته وتأثيراته، فلجأوا الى توسيع هذه المجارى فى بعض الجهات أو تضييقها فى الأخرى

واعتاد المصريون إقامة الجسور على الشواطئ مراعين فى ذلك ما يستلزمه مجرى النهر فى التعاريج والاعتدال ويبتدئ هذا النظام من صخور ليبيا والعرب. وقد قسموا مناطقه تدريجيا الى حياض من الجنوب الى الشمال، وجعلوا لكل حوض منها سداً خاصا به يفتح فى أوقات الفيضان لأخذ المياه وحفظها لوقت الحاجة ويقفل عند الاستغناء عنها. والاحواض متلاصقة فى مواقعها، تحيطها قنوات تسهل مرور المياه من نهيرات صغيرة تتصل للنيل الحقيقى، وتقام حول كل حوض جسور صغيرة لوقايته وتوزيع المياه منه (١٦٢)

وكانت هذه الاعمال تحت هيمنة فنية يخصص لها عمال خبيرون، يقيمون فى أماكن على الشواطئ ويعنون سنويا بتقدير درجة الفيضان والاصلاحات التى يستلزمها، ولذلك كان الملك يحرص باشتراكه مع الوزير المختص على تحديد الاوقات لفتح الأهوسة وغلقها ومواقيت الزراعة والحصاد (١٦٣)

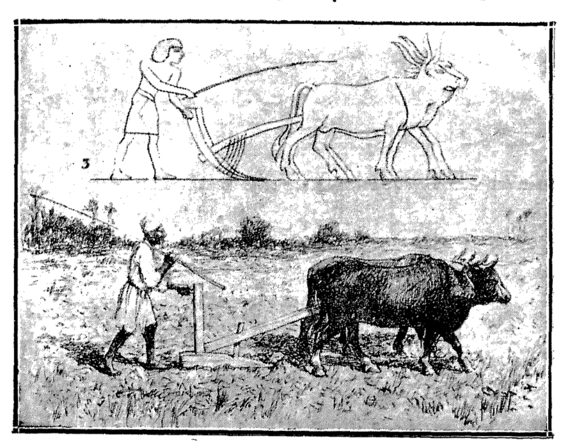
انتفاع الشركات المساهمة بالاراضى المصرية — واعتاد المزارعون الانتفاع بالارض التى فى حيازتهم كشركة مساهمة (١٦٤) تحت رئاسة الأسرة المسئولة

(162) Moret, Le Nil... I, p. 38-39.

(١٦٣) ومما يؤثر عن القائد بونابرت لما جاء إلى مصر قوله: « إن الادارة الحسنة تؤدى خدمة مشكورة فى عنايتها بتنظيم الترع وطرق الرى وضبط تصرفات الفيضان لتضمن ثروة البلاد الزراعية. وإذا ساءت الادارة تركت تلك الترع بدون تطهير متداعية متهدمة وقوانين الرى مهملة، وفى هذا الدمار الكلى للبلاد. » (Moret, le Nil...p.53)

(164) Voir No 157

أمام الأدارة المركزية (١٦٥) ويراعى رئيس العائلة حالة أفرادها (كما فى سفر التكوين) وكانت الحكومة تجبى الخراج بمقدار خمس المحاصيل (١٦٦) .



رسمان للمحراث ، الاول فى زمن الفراعنة ، والثانى فى وقتنا الحالى
وكلاهما لا يختلف عن الآخر فى شئ

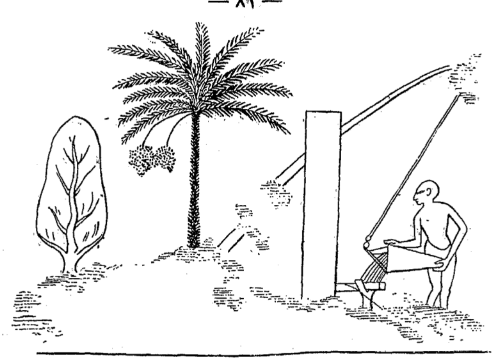
الآلات الزراعية — لايختلف شكلها عما عرفت به منذ الأجيال الماضية ، فقد شوهد على جدران (١٦٧) بعض المقابر مثال من أسلحة المحراث صيغ من المعدن أو البرنز .

الزهور الفرعونية — وفهمنا من بعض النقوش أنهم كانوا يعطون العمال

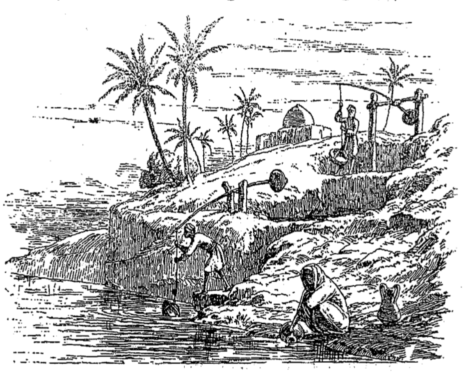
(165) Peet, Two eighteenth... e, p. 70. Lettre d'Ahmose à son frère Teti.

(166) Genèse, XLVII, 24.

(167) Maspero, Le tombeau de Nakhti, f,p. 476



رسم شادوف من قبر الوزير (نخت) بطيبا من الأسرة ١٨
(نقلا عن كتاب ولكنسن الجزء الأول صفحة ٢٨١)



رسم شادوف حديث

ملاحظة ـ الشادوفان القديم والحديث لايختلفان فى الوضع الصناعى مع تمادى الأوقات

كميات من المحاصيل كبدل عن ماهياتهم (١٦٨) . وتدل هذه النقوش أيضا على أسماء نباتات وأزهار كانت فى بستان جنازى (١٦٩) ، وأطعمة كانت فى القبور أودعها الأصدقاء أو الأقارب ، وأنواع الزهور الخاصة بزينتها ونظام الدفنة . وكل ذلك يدل على الزهور الفرعونية التى كانت زاهرة فى ذلك العهد .

ومن أشهر محاصيل مصر الزراعية القمح والشعير ، ويظهر أنهما نقلا اليها من بابل (١٧٠) وكانوا يصنعون منهما الأغذية على شكل الكعك المعروف (١٧١) .

ومن المطعومات المصرية المألوفة ، والفواكه المتداولة ، الذرة البلدى ، والفول والعدس ، والبصل ، والعجور ، والبطيخ ؛ والزيتون، والبلح ؛ والتين ، والعنب .

وكان اللوطس والياسمين والورد ، من خير ما تبتهج به المتنزهات والحدائق الجنازية . وكان ورق البردى يستعمل للخط الهيروغليفى ؛ وصنع منه زوارق صغيرة . وكان نسيج الكتان يستعمل فى ملابس الأحياء وأكفانا للموتى .

ولما تعلم المصريون صناعة الجعة والنبيذ ؛ كانوا يستهلكون منهما كميات وافرة ؛ ولعدم كفاية منتجاتهم كانوا يستكملون حاجياتهم بما يستحضرونه من بلاد آسيا (١٧٢) .

تربية المواشى — وكانوا يعتنون بتربية المواشى والطيور ؛ ويخصصون بعض الموظفين الخبيرين بتربيتها ؛ لتنمية أنواعها ؛ باعتبار أنها من موارد ثروة الشعب وايرادات الخزينة (١٧٣) .

---

(168) Par exemple le papyrus mathématique Rhind. Cf. R. W. Sloley, Ancient... a.

(169) Maspero, Notes sur quelques points... n. p. 107. Stèle d'Anna, Bouriant, R. T. XII, p. 107.

(170) Dr. Fr. Hrozny, Das Getreide... a.

(171) Max. Ringelman, Essai sur l'Histoire du Génie rural, t. I, l'Egypte.

(172) Lucas, A Egyptian use... e, p. 3.

(173) Loret, Le titre préposé aux... a, p. 610.



رسم زهرات البردى فى المستنقعات

(نقلا عن كتاب)

Oppel، der Land das Pyramiden

واستجلبت إلى مصر من بلاد سوريا (١٧٤) فصائل الخرفان والمعز والظباء والدجاج . أما العجول فنقلت لها من بلاد آسيا واستعملت للنقل (١٧٥)

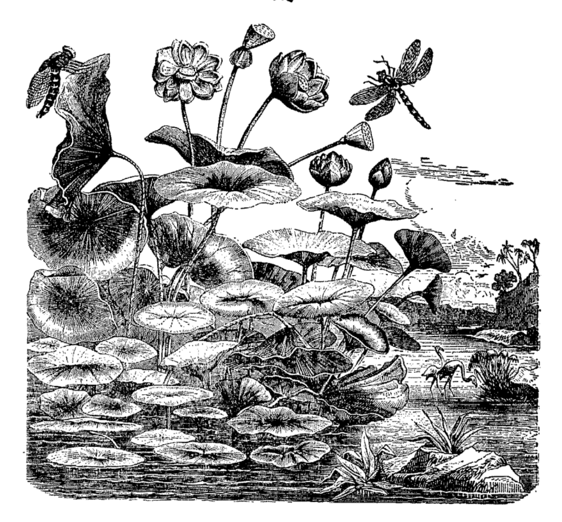
واستحضر الرعاة إلى مصر أصناف الخيل ، و بلادها الأصلية مجهولة لدينا (١٧٦) وكانوا يعتنون بتربيتها اعتناء خاصا ، حتى أنهم خصصوا إدارة لتربيتها برئاسة أحد أكابر الموظفين خصوصا بعد ما ذاع استعمالها للجر واستخدمت فى عربات خفيفة ذات عجلتين ، يجلس فيها محاربان ، وصارت من المعدات الحربية،

---

(174) Carter, An ostracon depicting a red... b.

(175) Daressy, Inscriptions des carrières de Tourah, f. p. 264.

(176) Fougères, Les premières civilisations, p. 125.— Glotz La civilisation Egéenne, p. 193.



رسم زهرات اللوطس فى المستنقعات

(نقلا عن كتاب)

Oppel, der Land das Pyramiden

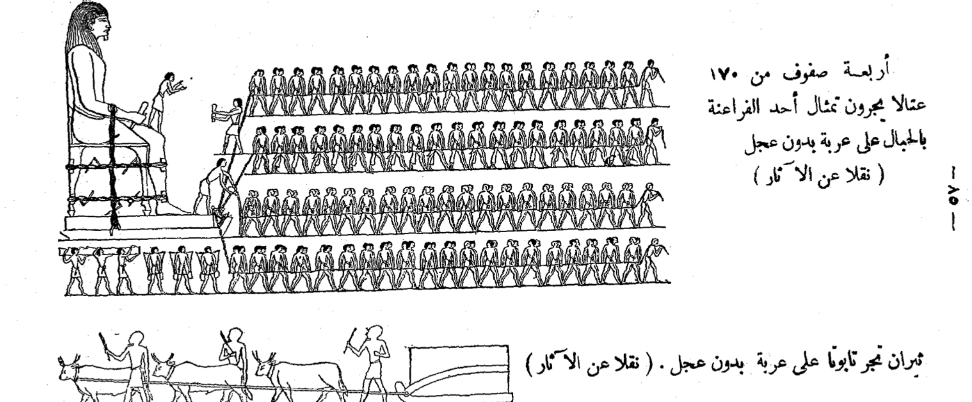
وانتشرت انتشاراً عظيما فى عهد الأسرة ١٨ (١٧٧) وكانوا يختالون إعجابا باقتنائها وركوبها .

وبلغ من عنايتهم ببعض الحيوانات كالعجول ، اتخاذها فى ميدامود (١٧٨) موضوع العبادة الرسمية ، وغالبا كانت تقتصر على بعض المنازل ولم تشترك فى العبادات الجنازية الكبرى (١٧٩)

(177) Lefebure, Sur l'antiquité du cheval... c, p. 233.

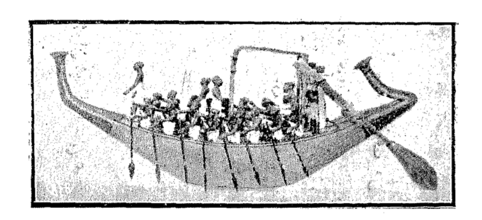
(178) Drioton, Fouilles de Médamoud... b, p. 4.— Daressy, Notice explicative des ruines de Médinet Abou, p. 15.

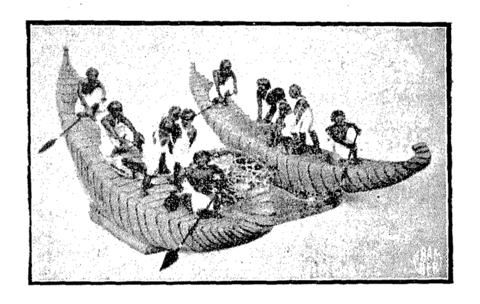
(179) Maspero, Notes sur quelques points... n, p. 108.



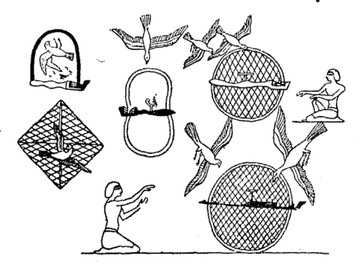
أربعة صفوف من ١٧٠ عتالا يجرون تمثال أحد الفراعنة بالحبال على عربة بدون عجل (نقلا عن الآثار)

ثيران تجر تابوتا على عربة بدون عجل. (نقلا عن الآثار)





رسوم زوارق من البردى الأعلى به عمال الصيد والاسفلان بينهما سمك فى شبكة



رسم شبكة لصيد الطيور عند قدماء المصريين

والمشتغلون بالاتجار فى القرون والريش والاسفاط لبيعها لآخرين ، اشتهروا بفنون الصيد وتنظيم وسائله ، فكانوا يتخذون من هذه الأصناف ما يعتادون القاءه فى الشبك لاقتناص ما يشاءون . (١٨٠)

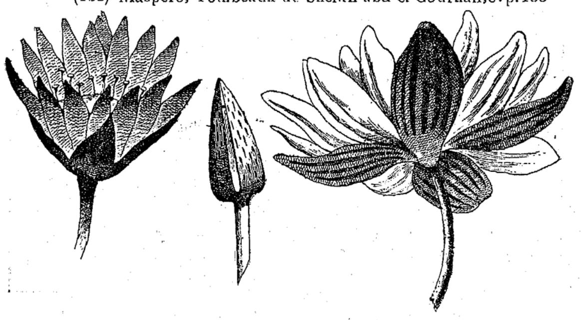
الصيد والقنص — وكانت البرك والمستنقعات منتشرة فى كثير من البلاد وبواسطتها يسهل صيد الطيور ونحوها ، ولكن بالأقبال على الزراعة تناقصت كميات الطيور التى كانت تأتى اليها أسرابا ، ولهذا اقتصر الصيد على الملوك والعظماء وذويهم فى بعض المزارع القاصية . ووجدت نقوش على بعض الجدارين شاملة لقصص صيد الملوك تخليداً لذكرى مدنيتهم ورفاهيتهم (١٨١)

وتوسع غواة الصيد فى اتخاذه من الملاهى السلمية ، و إعداد أماكن لأجله ، على شواطئ البحيرات ، أو حول حدائقهم التى كانوا يحددون أوقاتا من فراغهم لتمضيتها بها مع عائلاتهم ، ويجعلون فى موائدهم بعض الأشربة المعتادة فى مثل ذلك (١٨٢) .

(180) Cf. Oric Bates, Ancient Egyptian Fishing.

(181) Budge, The Mummy, e, p. 298.—Maspero, Histoire Ancienne... q, t. II, p. 298. — Breasted, A. R. II, s.s 863 et 865 Egalement stèle du Sphinx : Breasted, ibid., s.s 813.

(182) Maspero, Tombeaux de Sheikh abd el Gournah;c.p.483





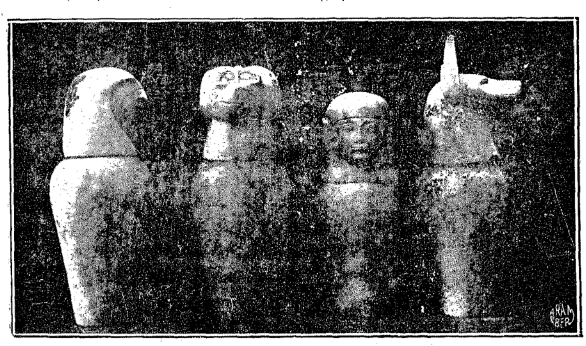
الفصل الثالث

الصناعة والعمل الصناعي

لوازم البناء — قبل عصر الأسرة ١٨ كانت الأعمال الصناعية ضئيلة بعصر لا يعرفها إلا القليلون ، ولكن فى عهدها اتجهت العقول الى الترقى الصناعى ، فاتسعت الصناعات وتداولت أنواعها . فقد رأينا فى بعض المقابر آثاراً تدلنا على صناعات الموبليات الدقيقة مدخرة فى القبور المحترمة ، ومثلها رسوم عديدة تدل على ذلك فوق جدران المعابد . واستطعنا بهذه الاكتشافات معرفة صنائع متنوعة ، وطرق التطور الصناعى حين استطاعت أيدى الافراد إبراز مجهودات دقيقة من فنونهم واختراعاتهم . وكانوا يعتقدون أن بالقوة السحرية يتجدد رونق هذه المناظر للموتى فى حياتهم الأبدية .

ومما ساعد على التفوق الصناعى فى الشؤون المتنوعة ومنها المبانى أيضا ، وجود المحاجر القريبة من طرى (١٨٣) ؛ والمستعملة إلى الآن ـ وهى تدل على

(183) Petrie, Arts et métiers... g. p. 83-84.



الاربع الاوانى (كانوب) التى توضع فيها احشاء المتوفى عند التحنيط

أنها كانت مستعملة لهذه الأغراض قبل ١٥٠٠ سنة سابقة على الاسرة ١٨ . ومن هذه المحاجر انتقى الفراعنة الحجارة الجيرية لتشييد أهراماتهم فى الجبل الاحمر؛ ومنه استخرجت الحجارة الرملية الصلبة لبناء الجناح الشمالي لبوابة معبد أمنوفيس الثالث بالكرنك (١٨٤)

وعلى بعد نحو ١٥٠ كيلو متراً من حد طيبا القبلى ، توجد محاجر (سلسلة) وفيها يوجد الحجر الرملى النوبى ؛ وأغلب آثار طيبا بنيت من هذا النوع لصلابته.

وبالقرب من قنا ، استخرجت الأسرة الخامسة من وادى الحمامات ، الحجارة الصلبة كالديوريت الذى صنع منه المصريون أغلب التماثيل والتوابيت. وتوجد فى أسوان (التى كانت تعرف سابقا باسم سيين) محاجر يستخرج منها حجر الجرانيت الوردى ، المعروف باسم « الحجر الصوان » ، واختاروا من أجزائه مايصلح فنيا لأقامة مسلتى الملكة حتشبسوت بمعبد أمون بالكرنك ، وأغلب التماثيل الضخمة .

وعلى مقربة من العمارنة (عاصمة مملكة أمنوفيس الرابع) توجد محاجر حتنوب ، التى يستخرج منها المرمر ، ومنه كانوا يصنعون الأوانى (كانوب) المنظمة لوضع أحشاء الموتى بها بعد تحنيطهم (١٨٥)

المحاجر — والمصريون فى أدوارهم الحديثة كانوا يكتفون باستخراج أجزاء الحجارة من طبقات المحاجر الظاهرية ، ولا يتعمقون فيها ، ولكن القدماء كانوا يجعلون للمحاجر قبل الأخذ منها نظاما يساعد على صلابة الأجزاء وجفافها . فينحتون كتلا عميقة ويتركونها وقتا محدوداً لتكمل صلاحيتها الطبيعية ، فكانت المحاجر ترى على شكل قاعات واسعة تحت طبقات الأرض، لايخشى من سقوطها، وكانوا يحتاطون لذلك باقامة جدران حولها ، واذا احتاجوا لأقامة مبانى أثرية نقلوا

(184) Legrain et Naville, Ann. M. Guimet, XXX, 1902 p. 6.
(185) Leeds, Alabaster vases of..., p. 3.

منها مايحتاجون ونحتوا حجراً أخرى وهكذا . وكانوا يذكرون تواريخ هذه الأعمال في نقوش صخرية نعتبرها الآن كمستندات تاريخية قيمة (١٨٦)

والمعماريون في الأسرة ١٨ كانوا ذا خبرة باستعمال الجير ، لكنهم كانوا يخصصونه لمساواة المسطحات ، كأرضية حجرة قصر أمنوفيس الثالث « بمدينة هابو » وحجرة قصر أمنوفيس الرابع « بتل العمارنة » (١٨٧)

ووفرة المحاجر المصرية الحاوية لمهمات المباني ، كانت مقترنة بفقر البلاد من المناجم المعدنية .

المعادن (الذهب) — والذهب أشرف المعادن ، وهو كثير الاستعمال في حاجيات الانسان، مابين حلي للسيدات و زخرفة للمباني و بعض الأواني . وكانوا يستعملونه في مثل ذلك صفائح كالورق (١٨٨) تلصق في أعلى المسلات والأبواب والموبليات . وكان الذهب يرد إلى مصر على أشكال متنوعة من بلاد متعددة كصحراء العرب بين القصير وقبتوس (١٨٩)

وقد شوهدت هنالك آثار تدل على استخراج الذهب من طبقات الصخر البللوري ، و يستحضر أيضا من الولايات المصرية من آسيا أو الحكومات حليفاتها ، و يستجلب الذهب إلى مصر أحيانا على شكل قوالب بسيطة ، وأحيانا من قطع مصنوعة تشبه الحلقات ، وكان عياره من أقل الدرجات و يستجلب الذهب أيضاً لمصر من النوبة وأثيوبيا ، وكانت له هنالك مناجم يسهل استخراجه منها ، و بعضها قريب من النهر . و يصل مصر على شكل سبائك أو رماد مسحوق (تراب تبر)

(186) Inscriptions de Toura, Breasted, A. R. II, s.s 799–800, 875. — Inscriptions de Silsileh, Breasted, ibid., s.s 932. — Inscriptions d'Assouan. Breasted, ibid, s.s 876

(187) Cf. Lucas. Ancient Egyptian Materials, b. 1926 p. 21.

(١٨٨) وما كان يستعمل من هذه الاوراق الذهبية يبلغ سمكها خمسين ضعفا عن المستعمل من نوعها الآن

(189) Wilkinson, Manners and Customs, 1878, t. II, p. 238.

الفضة — وقبل انتشار المدنية فى عهد الأسرة ١٨ ، كان معـدن الفضة مجهولا أو قليل الأستعمال . ولـكن بتبادل الأسفار والغزوات إلى سواحل سوريا الشمالية ، التى يستوطنها الحبشيون ، والمباحة لرحلات المصريين ، ابتـدأوا فى استعمال الفضة ونقلها (١٩٠) ، وكانوا أحيانا يجعلون استعمالها بمزيج من الذهب والفضـة ، يعادل من العشرين إلى الخمسين فى المائة ويسمى (لـكتريوم) وكان منظره براقا عن الذهب النقى (١٩١)

النحاس — وتعلم المصريون استخراج النحاس من الصحراء الشرقية ، وبعض مناطق سينا . وفى بعض المناطق المصرية كوادى مغارة ووادى العرابة (١٩٢) توجد كميات من المواد الأولية ، التى يتـكون منها هـذا المعدن . وكان ما يوجـد فى هذه الجهات غير كاف لحاجيات البـلاد فى استهلاكاتها ، فكانوا يستجلبون منه كميات وافرة من جزيرة قبرص وأمثالها .

البرنز والقصدير — وشاع فى عهـد الأسرة ١٨ استعمال البرنز فى مصر . وكذلك استعمال القصدير ، وربما كان استجلابه اليها من أوربا الوسطى (١٩٣)

الحديد — وكان استعمال الحديد معروفا فى مصر ولم يكن بطريقة عامة ، لأن صناعة تطهيره لم تـكن عرفت تماما فى ذلك الوقت (١٩٤) ويغلب أنه كان يستحضر أيضا من بلاد آسيا

---

(190) Lepsius, Les métaux.. b, p. 18. Cf. Lucas, Silver in Ancient times.. d.

(191) Lepsius, ibid., p. 16.

(192) Petrie, Arts et Métiers.. g, p. 118. — Lucas, Copper in Ancient Egypt.— Cf. également J. de Morgon, De l'importance supposée... a, p. 284.

(193) Sur cette qnestion très discutée : Lucas, Notes on the early history of tin... a. — Petrie, The metals in Egypt, j, p. 18. Petrie, Arts et Métiers... g, p. 118-119.

(194) Carter, The tomb... b, t. II, pp. 97 et 135. — Griffith, Excavations at el Amarnah, 1923, e, p. 304. — Lepsius, Les métaux...b, p. 56. — Wainwright, Iron iu Egypt... f.

الرصاص — واستجلب إلى مصر من جهة توروس بآسيا الصغرى معدن الرصاص ، وفى عهد الاسرة ١٨ كان مبتذلا وغير متداول فى الصناعات . إلا فى مثل شباك الصيد لتثقيل أطرافها (١٩٥)

الخشب — وكان الخشب قليلا فى مصر ، والمتداول فيها كان من أشجار السنط والجميز . ويظهر أنه كانت توجد بمصر فى أدوار قديمة ، غابات واسعة من السنط (١٩٦) .

وقد برع المصريون فى الصناعات الخشبية على اختلاف أنواعها من هذه الأشجار القليلة ، ثم اتخذوا من قشورها و بذورها زيوتاً استعملوها لدباغة الجلد وتجهيز بعض الصنائع الأخرى ، كما استخرجوا أيضاً من الزهور والصمغ مركبات للألوان والمراهم والأدوية .

وشجر الجميز المنتشر بالأراضى المصرية ، ينمو كثيراً فى الرمال ويكتفى فى ريه بامتصاص جذوره مياه الرشح من أعماق الطبقات الأرضية ، ولذلك عظمه المصريون حتى اتخذوه فى بعض الاوقات موضعاً للعبادة (١٩٧) وكثيراً ما كانوا يستعملون أخشابه فى صنع التوابيت (١٩٨)

وأنواع الأخشاب الموجودة بمصر لم تكن كافية لحاجياتها كما تقدم القول لتوالى التقدم الصناعى ، فاحتاجوا لاستحضار كميات من خشب الأرز من لبنان استعملوه فى الموبليات ومهمات المبانى ، بدلا من الأعمدة الحجرية (١٩٩) واستعملوه أيضا فى صنع المراكب الواسعة المعدة للنقل التجارى من شمال مصر إلى جنوبها .

(195) Petrie, The metals in Egypt, j, p. 17

(196) Jequier, Matériaux ponr servir... a.

(197) Maspero, Mythologie Egyptienne, p, t. II, b. 225.

(198) Daressy, Le cercueil du roi Rames, d, p. 61.

(199) Cf, la grande stèle de la construction de Karnak, au Musée du Caire. — Mariette, Karnak, a, p. 12. — Breasted, A. R., II, s,s 601.

فمصر فى أدوارها الماضية كانت كثيرة الحاجـة (للاسـتعانة فى موادها الأولية) لما تستجلبه من البلاد الأخرى . ومستحضرات الفراعنة وقوادهم بعد الغزوات والانتصارات ، لم تـكن إلا كنوزا ذات نفائس نوعيـة لا تسد هذا الفراغ ولا تقوم بالتعادل الواجب للتبادل التجارى والعمرانى ، بين الاستهلاك والوارد ، مراعاة للتوازن الصناعى المحلى .

فرعون المالك الاسمى لجميع الصنائع المصرية — وكان من مقتضيات النظام استمرار العمال وأرباب الصنائع الذين تتـكون منهم جماعة الأمة فى طوائفها الصناعية ، تابعة لقوة الأرادة الملـكية أو سلطة الأكليروس ، ولـكن مبادئ التطور الفـكرى والميل بالمطالبـة إلى الحقوق السياسية ، واستحداث الصنائع المتنوعة ، لم تجعل تلقين المهن لطلابها والصنائع للراغبين فيها ، من الأسرار التى كانوا يضنون بها لرغبتهم فى احتـكارها ، فانصرفت الأمة (بتقدمها النسبى) عن الأنضمام تحت لواء الخضوع الذى كان ساريا على الجميع فى العصور الأولى وا كتشفت بقوة امعانها وتدقيقها الغوامض الصناعية .

وهذا لم يمنع من اعتبار العمال والصناع ، وكل أفراد الطوائف ، خاضعين فى ورشهم ومصانعهم لاجراءات التعداد السنوى ، والتسجيل والاخبار عن تغيير الشخص لمهنته ، وانتقاله من وظيفة لغيرها ، محافظة على النظام ، وضمانة لتحصيل الايرادات الحـكومية الممثلة فى شخص فرعون المالك لجميع ما ذكر ، وهو الذى استثنى عقارات ومنقولات ، رجال الدين من هذه الاجراءات الجبرية كما تقدم ذكره .

تقسيم العمل الصناعى — والمقارنة بين الأعمال البنائية فى المقابر المعاصرة للأسرة ١٨ تظهر لنا الفرق الـكلى فى تقسيم العمل الصناعى وتقدمه ، بين ما كانت عليه فى العصور الأولى وما كانت عليه فى عصر تلك الاسرة حتى انك لتحس بهذا التفاوت فى الأنواع الصناعية التى هى من مهنة واحدة .

ومن الأدلة على تنوع الصناعات ، وتوزيع الأعمال فى أنواعها ، أننا نجد حول قبر رخمارا (٢٠٠) نقوشا بينها رسم يمثل ٢٢رجلا يشتغلون بصناعة الجلود و٣١ رجلا فى الصباغة و ٢١ رجـلا فى الاعمال الخشبية ، برأسهم جميعا رئيس الورشة ، ويغلب على الظن أنه رئيس عائلى للجميع (٢٠١)

ونجد فى قبر منخبرسنب(٢٠٢) رسوم رجال يشتغلون فى صناعة آلات القتال حول آلات مقررة للنجارين ، فالأول يصلح سهما معوجا على ركبته ، والثانى يصلح أطرافه بالقدوم ، والثالث يشد أجزاءه لتجربتـه والرابع يدقق فى هيئة السهم هل جاء صنعه محكما أم لا ؟ .(٢٠٣)

والعناوين التى عثرنا على تدوينها بكلمات كانت متـداولة فى ذلك العصر بعنوان خباز (٢٠٤) وعجان ، وحلوانى ، دلتنا على ما كان من العناية فى تخصيص الصناعات بفريق من العمال ، وبالأخص ما كان منها تابعا للحياة المنزلية

وتقسيم الأعمال كما ذكر على من يخصصون لـكل نوع منها ، يعدونه كفالة ضرورية للتقدم والنجاح فى الفنون والصنائع .

الصناعات المصرية البالغة حد الكمال — ومن بين الصناعات التى بلغت فيها مصر حد الـكمال ، صناعات المنسوجات التى قارنت بها منسوجات بابل (٢٠٥) صناعة الجلود (٢٠٦) وصناعـة المجوهرات ، حتى اعتبر المصريون فيها من أكبر الخبراء الفنيين ، وتقليد الحجارة (٢٠٧) وصنائع الزجاج الذى اقتبست

(200) Newberry, The life of Rekhmara... a. — Virey, Tombeau de Rekhmara, b.

(201) Voir supra, p.72

(202) Virey, Sept tombeaux thébains, d, p. 212.

(203) Jequier, Matériaux pour servir.. a, p. 24.

(204) J. Baillet, Les noms... a, p. 17-18.

(205) Mackay, The representation... c. —Ling Roth, Ancient Egyptian and Greek Looms.

(206) Jequier, Notes et remarques, R. T. XXXII, p. 173.

(207) Vernier, La bijouterie... a. — Engelbach, The Jewellery of... a..

أنواعه جزيرة قبرص ، مع أن المصريين وقت ذاك لم يعرفوا الزجاج المشكل ، بل عرفوه فى عصر الرومان (٢٠٨) . وكانت للمصريين براعة فائقة فى صناعة الخذف وتلوينه ، ولاسيما باللون الازرق الفيروزجى ، وانتقلت تلك الصناعة منها إلى بلاد أخرى ، ولكن لم تفلح الصناعات الكريتية فى التأثير على الصناعات المصرية بتقليد أنواعها (٢٠٩)

الصنائع المتولدة من عبادة الاموات — وترحيب مصر بالراغبين فى الاتحاد معها بالحقوق الدينية (٢١٠) وانتشار الطقوس الجنازية ، أدى إلى تبادل الفريقين للآخر ومرجع الفضل فى ذلك إلى عبادة الأموات .

وجميع الصناع فى طوائفهم كانوا متضامنين فى المحافظة على الموتى والعبادات الجنازية .

وكان الملوك وكبار الموظفين يشيدون قبورهم ويعدونها لحفظ الجثث المحنطة ، ويبالغون فى زيناتها وهم أحياء . وكان فرعون يكافئ بعض موظفيه صغاراً أو كبارا فيمنحهم قبوراً . واذا صادف موت إنسان قبل إتمام بناء قبره ، فعائلته تشترى المقابر من المقاول وتترك جدرانها بدون كتابة حتى تكتب عليها أسماء وصفات الموتى ، والمناظر الخاصة بحياة كل ميت فى القبر المجعول له . (٢١١)

وكان هذا النظام متبعا فى صنع التوابيت التى كانت تصنع مختلفة الألوان والزينة ، ويترك جانب منها لكتابة الأسماء والصفات الخ (٢١٢)

(208) Newberry, A Glass Chalice of... g. — Petrie, Tell el Amarna, c. p. 25. —Murray, Excavatious in Cyprus..., p. 69,

(209) Ricketts, Bas relief figure of a king...Ib, p. 77.—Laurie. Lintock, Miles, Egyptian blue, 8o, 12 pp. Proc. Royal Society, vol. 89, p. 418-429. — Boreux, L'art Egyptien b, p. 46

(210) Voir supra, p. 40 et 42.

(211) Tombeau de Nakhti : Maspero, Gournah... c, p. 470.— Davies, The tomb of Nakht... l, p. 46.

(212) Bruyère, Deir el Medineh, 1928, d, p. 51 et 63. (tombe d'Hormes).

و يعتنون بان يودعوا مع الميت « كتاب الموتى » (٢١٣) وهو مجموعة تحتوى على النص الطقسى للمتوفى العادل كمكافأة حقيقية فى نجاة الحالة البشرية (٢١٤). وكذلك التماثيل الجنازية أو المجيبات (أوشابتى) وهى تماثيل صغيرة من خشب أو طين مصنوعة من المينا أو الحجر يقولون انها تتحرك بصيغة سحرية ، وتساعد فى تخفيف الأعباء عن الموتى الفقراء والأغنياء ، فى الحياة الثانية (٢١٥)

والودائع التى كانت تخصص لزينة الجثث المحنطة والجواهر (٢١٦) الطقسية ، كانوا ينتخبون لها أمهر الصناع لأتقانها بدرجة تناسب مكانة الجثة عند قومها .

وكان جزء كبير من الشعب المصرى يشتغل بالصناعات الجنازية ، وهى كانت الشغل الشاغل فى الاقتصاد المصرى لدى الجميع .

و يصعب التمييز بين المصنوعات التابعة للادارة ، وصناعات رجال الدين ، ولكن كان من امتياز الكهنة تخصيصهم بصناعة الأقمشة الخاصة بتكفين الموتى (٢١٧) وكذا جميع الصنائع التابعة لتحنيط الأجسام (٢١٨)

وأعمال التحنيط المنقولة عن الدين والسحر ومهنة الطب (٢١٩) كان يستخدم لها عدد وافر من الأخصائيين كما كان تشريح الجثة وتجفيفها وتحضير النطرون وتنظيم اللفائف للتحنيط ، يستغرق أكثر من سبعين يوما (٢٢٠)

---

(213) M. Breasted, dans son (History of the Ancient Egyptians), p. 205, compare ce commerce avec celui des indulgences du temps de Luther.

(214) Moret, Au temps des Pharaons... i, p. 240.

(215) Moret, Le Nil... l, p. 301. Cf. Gardiner, A statuette of the High... c, p. 59. — Petrie, Funereal figures in Egypt, k.

(216) Maspero, Guide du visiteur du M. du Caire, u, p. 415.

(217) Maspero, Le temple de Louxor... i, p. 309. Cf. tombe de Thotemheb. Robert Mond, Report in the necropolis of Thebes. An. Mus. du Caire, 1905, p. 65.

(218) Warren R. Dawson, Making a mummy, p. 40-49.

(219) Maspero, Etudes de Mythologie, III, p. 351.— Gardiner, professionnal magicians... h, p. 44.

(220) El. Smith et Dawson, Egyptian mummies..., p. 53.

والقيام بهذه الصنائع وما يليها ، استدعى ايجاد قرى حقيرة حول المقابر ، لاقامة هؤلاء الأشخاص بها تسهيلا للقيام بالأعمال ، وللمحافظة على مهمات القبور وصيانتها (٢٢١)

أجور الشغالة وحالتهم الاجتماعية — وكان العمال فى جميع ذلك يتقاضون أجورهم أصنافا ذات قيم محدودة من المحاصيل والثياب ونحوها ، كل بقدر عمله . وشوهد فى قبر الوزير (رخمارا) ، رسم على الجدار يمثل عمالا مع نسائهم وأولادهم يأخذون تحت مراقبته أكياسا من القمح بدلا من الأكياس الفارغة ، ويتناولون أيضا زيتا وملابس (٢٢٢)

وفى الأحوال الاجتماعية لم يكن هنالك فارق بين أرباب الصنائع وجمهور الفلاحين ، وقد استطاع الآخرون عقب ثورة الأسرة ١٢ ، الوقوف على الاسرار الدينية الضامنة لهم حياة أبدية بقرب الآلهة والملوك ، فاصطنعوا لقبورهم تمائم صغيرة ، وعقودا وأكاليل ، ونحوها من طلاسم فرعون ، وسهلوا للجمهور الحصول عليها . وكان اسم ازوريس يكفى لجعل الميت الها وملكا . ولقب (نب اماخو) يجعله صديق فرعون ، واستطاع الأفراد المحتقرون من الشعب أن ينسبوا لأنفسهم الصفات الثلاثة ويدعون المساواة فيها بمن ذكروا ، وأنهم بعد الموت تحتضنهم الأسرة المالكة الالهية بقوة الطقوس الازوريسية (٢٢٣)

ومتع فرعون جماهير الصناع والعمال ، بأحقية كل فرد فى الشكوى إليه (٢٢٤) وهو ينتدب أحد مفتشيه للتجول فى الأقاليم لتحقيق شكواهم وأمثالها (٢٢٥)

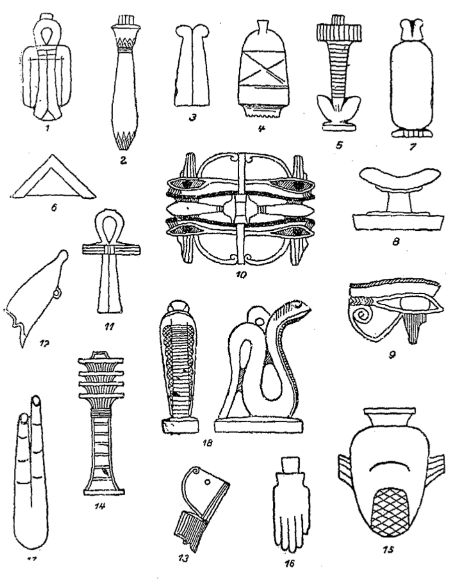
(221) Bruyère, Deir el Medineh... b, p. 3-11. — Ibid., c. p. 2 à 70; Ibid., d., p. 4 s. — Gauthier, La nécropole de Thèbes... a. — Boreux, on two statuettes... a, p. 120.

(222) Virey, Rekhmara... b, p. 9.

(223) Moret, Le Nil... l, p. 301.

(224) Cf. supra, p. 54.

(225) Moret, L'appel au roi en Egypte...c



أشهر التمائم المصرية

(١) ابزيم حزام (ويدعى دم ازيس) (٢) صولجان على شكل الورق البردى (٣) تاج من ريش النعــام (٤) خصلة (٥) علامة الاتحاد (٦) زاوية مثلثة (٧) خرطوش (حلقة مستطيلة يكتب فيها قدماء المصريين أسماء الملوك والملــكات) (٨) مسند للرأس (٩ ـ ١٠) عينان (١١) علامة الحياة (١٢) تاج الوجه القبلى (١٣) تاج الوجــه البحرى (١٤) علامة البقاء والخلود (١٥) قلب (١٦) يد (١٧) أصبعان (١٨) الحية المقدسة

عدم وجود عمال أرقاء عند قدماء المصريين — وفى عهد الأسرة ١٨ هل كان يوجد بين هؤلاء العمال المتمسكين بحقوقهم من يوصف بانهم عمال أرقاء ؟ كلا والاسماء المعتاد إطلاقها على الخدم على ماتدل عليـه من الطاعة والانقياد لساداتهم ، لا يظن أن فى ألفاظها ما يقصد منه اتصافهم بالعبودية .

شمسى — فالكلمة المصرية « شمسى » (٢٢٦) تدل على شخص يطيع آخرين ، وتطلق ضمنا على الأسرى والمزارعين ، والجند والكهنة ، والقواد وندماء الملوك .

حنوتيو ـ وكذا كلمتهم «حنوتيو » المستعملة فى تسمية عمال الحقل (٢٢٧) وكلمة «احيوتيو » المستعملة فى زراع الارض تحت ملاحظة المراقبين (٢٢٨) وليس فى الكلمات المذكورة ما يشتم منه رائحة التعبير بالعبودية .

واع تيو ـ وكلمة « واع تيو » (٢٢٩) تطلق على كل فلاح يشتغل فى الغيط ، ويكلف بأداء الضرائب عن مزارعه ، ويهدد بالجلد اذا تأخر فى السداد.

استيو ـ وكلمة « استيو » (٢٣٠) تطلق أيضا على فلاح الارض « وخمو » تطلق على خدمة المعابد والمقابر (٢٣١)

سمدوتو ـ وكلمة « سمدوتو » (٢٣٢) تطلق على طوائف ذوى أعمال صغيرة مثل صبيان الصاغة والنقاشين والنحاسين (٢٣٣)

(226) J. Baillet, Les noms de l'esclave en Egypte a, p. 38
(227) Ibid. a, p. 202.
(228) Maspero Hist.-Anc. q, t. I. p. 333 n. 1.
(229) J. Baillet, Les noms... a, p. 206
(230) Ibid, b, p. 113
(231) Brugsch, Aegyptologie, p. 296-297.
(232) J. Baillet, Les noms... b, p. 117.
(233) M. Revillout y voit des gens de familles considérées, candidats aux administrations de l'Etat, cf. Rev. Egyptologique VIII, p. 19-20.

و «خرو» و «ستو» و «زااتيو» و «امو» (٢٣٤) هم طوائف من صغار الطبقات، وكان من بينهم من يمتازون بصفات تؤهلهم للاندماج فى العسكرية و «مونيو» (٢٣٥) تطلق على الخدمة و «الحسبو» (٢٣٦) تطلق فى الغالب على خدمة مناجم الذهب و «الرودو» (٢٣٧) تطلق على طبقة من العمال خصوا بخفارة المحاصيل (٢٣٨)

«الحنو» (٢٣٩) كلمة تطلق على جماعة من الجنود، أسروا فى ميدان القتال (٢٤٠) وخصصوا للاشتغال فى مبانى المعابد والآثار، و بعضهم منحوا كخدم لبعض القواد الذين امتازوا فى غزوات آسيا (٢٤١) ومنهم من كانوا صناعا بارعين فى المنسوجات (٢٤٢). ومن بينهم بعض نسوة اختطفهن الجنود (٢٤٣) فجعلهن فرعون فى خدمتهم. ويرى فى قبر (رخمارا) رسوما تمثل جماعات من (مرو) يشتغلون فى ضرب الطوب لمبانى معبد المعبود أمون (٢٤٤)

وجميع هذه الكلمات، وإن دلت على معنى الطاعة والخضوع، فهى ليست صريحة فى إطلاق ألفاظ العبودية والاسترقاق.

وكانوا يشتغلون فى الزراعة وتربية المواشى وفى الصناعات المختلفة تحت

---

(234) J. Baillet, Les noms... b, p. 125 à 129.
(235) J. Baillet, Les noms... c, p. 6.
(236) Ibid., c, p. 9.
(237) Ibid., c, p. 14.
(238) Maspero, Annales de Karnak, Bibl. Eg. VIII, p. 233
(239) J. Baillet, Les noms... a, p. 196 .
(240) Maspero, R. T. II, 1880, p. 148.
(241) Breasted, A. R. II, s.s 1-I6.
(242) Inscriptions de Karnak, Lepsius, Denk... III, 30o 1.
(243) J. Baillet, Les noms... a, p. 211.
(244) Breasted, A. R. II, s.s 756

رقابة رؤساء اختصاصيين ، مهاجرين متطوعين ، أما إذا لم يكن أغلبهم مهاجرا متطوعا فيسأل على أى حال وتحت أى رقابة كانوا يشتغلون ؟ ؟ فأنا لم نقف على مايدلنا على ذلك .

وهذه نقوش معبد الدير البحرى تروى لنا رجوع رحلة تجارية من بلاد « بونط » وفيها عائلات كاملة من « ميرو » وبصحبتهن أولادهن نازلين الى مصر (٢٤٥) ولكن لا يمكننا أن نؤكد إذا كانت تلك العائلات أسرى أم لا .

ومما لا شك فيه أن الأسرى الذين ظفرت بهم الجنود المنتصرة وأتوا بهم من البلاد المغلوبة ، محكومون بنظام قريب من نظم الأرقاء (٢٤٦) وهؤلاء الأسرى كانوا كثيرى العدد ومن عناصر مختلفة ، فأنه يرى بينهم الحيثيون والساميون وربما الكريتيون ، ومن بينهم الزنوج الذين امتازوا بنظام خاص لما لهم من العلاقات بقواد فرعون الوطنيين .

أما القوم الذين تكون حالتهم الاجتماعية قريبة من الرق فهم الأسرى ، ولكنهم كانوا تحت حماية قوانين حددت سلطة أسيادهم عليهم . وقد دلتنا على ذلك ورقتان برديتان من الأسرة ١٨ ، فأنا نقرأ فى إحداهما (٢٤٧) أن خادمة كان لها من سيدها شكوى ذات أهمية، تخول لها القانون أن تتركه وتحتمى بشخص آخر من أجل ذلك . والثانية (٢٤٨) تتقدم بمعارضة من أم جارية خادمة كان سيدها قد اعتدى عليها .

---

(245) Chabas, Inscriptions de Deir el Bahari, p. 152 et 167.

(246) Cf. Moret, Le Nil... I, p. 338.

(247) Papyrus no 10107 du British Museum.—Glanville, The letters of Aahmose... b, p. 305.

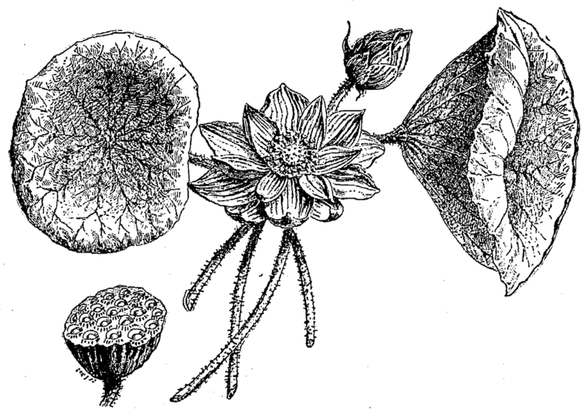
(248) Spiegelberg, Ein Brief... b.

وتاريخ الاسرة ١٨ يربأ بها عن اتخاذها وصف الاسترقاق أو التمليك ، من أفراد آدميين يماثلونهم فى النوعيـة والجنسية ، ـ والفراعنة فى كل أطوارهم لم يسمحوا لأحد بالرق والاستعباد ، لأنهم كانوا يفضلون طيب القلب (٢٤٩) وتواضع النفس (٢٥٠) عن كل الصفات . ولهم الفخر الأول فى وضع القوانين الأساسية للشخص على أفعال البر . و بعد انقراضهم لم يأتنا التاريخ بأحياء هذه الفضيلة إلا عن مبادئ الديانة المسيحية . (٢٥١)

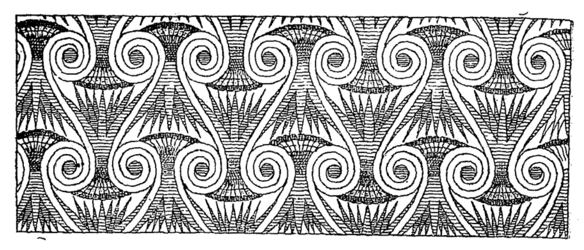
(249) Autran, La morale des Egyptiens...

(250) J. Baillet, Le régime pharaonique dans ses rapports. c, p. 648—Gardiner, Notes on the ethics... g, p. 58.

(251) C'est d'ailleurs au Christianisme que reviendra l'honneur de mener la lutte contre l'esclavage sous la monarchie franque. En effet, par son action disciplinaire l'Eglise réagira contre la loi civile en cherchant à assurer aux esclaves " l'équivalent de la personnalité juridique qui leur manquait en protégeant leur famille et leurs biens ".— Esmein, Histoire du Droit Français, 1912, p. 92.Cf. Esmein, Le mariage en droit canonique t. 1, p. 317 s. Concile de Châlon, de 813, au Décret de Gratien, c. VIII, C XXIX, qu. 2. — Boretius, Capit. I, p. 219.



زهرة اللوطس الوردى (نقلا عن كتاب) Histoire de l'art. fig. 325



الفصل الرابع
ايرادات الحكومة

ضريبة الحكومة على ايرادات الاراضى والصنائع — بعد ما حسنت الحكومة نظامات الاكليروس ، جعلت الموظفين المباشرين لوظائفهافى جملة الادارة الملكية ، كباقى طبقات الموظفين فى الزراعة والصناعةوما يماثلهما ، وبهذا نعتبر الشعب كله خاضعا لنظامات مرتبة ، وتابعا لحكومة فرعونية ، ذات سيطرة سامية ، تحتفظ بسلطتها وملكيتها للأشغال والاراضى والصنائع .

وقد تقدم القول بأن الحكومة تعافى الاكليروس من جميع الضرائب على أماكن العبادة والآثار ، وكل ما كان مخصصا للفروض الدينية، لكونها فى ذاتها تحتاج فى القيام بشئونها إلى عمال كثيرين .وكانت هيأة الاكليروس بتصرفها الداخلى تقوم بدفع مرتباتهم ، والكهنة المختصون بأمون رع فى طيبا ، كان لهم نفوذ وامتياز أرقى من باقى أمثالهم . (٢٥٢)

وكان رجال الحكومة يستشيرون المعبود أمون فى مهام الأعمال ، ويقتدون بالوحى الصادر منه إليهم بواسطة الكهنة ، وكان ذلك يؤدى إلى نتائج تناسب

(252) Voir supra, p. 63.—Egalemenet Maspero, Le temple de Louxor... i, p. 309.

مصلحة الحكومة وشؤونها (٢٥٣) فتزداد اعتقاداتهم فيها

ولم تكن ثقة فرعون برجال الكهنوت تكف نفوسهم عن طموحها للمزيد من حطام الدنيا . فكان فرعون بهباته وسخائه (٢٥٤) يفيض عليهم من عطاياه ما يطفئ أوام الظمأ ، و بتقديمه الهدايا والنفائس والجواهر الكريمة ، تزداد ثروتهم كل يوم عما قبله .

ومما يلاحظ على هؤلاء الكهنة ، أنهم إذا طرأت أحوال داخلية ، أو أزمات مالية ، تستدعى إقلال فرعون من بسطة اليد عليهم ، كانوا يسلكون طريق الشحاذة فى الاستجداء حينا ، والتمرد بظواهر المعارضة حينا آخر ، و يهمسون بقرب إذاعة الثورة ، و يتناسون إغداق فرعون وسخاءه ، و بهذه التهويلات كانوا يعبرون عن ازدياد قوتهم ، واستطاعتهم الأخلال بأمن المملكة .

فلأجل ذلك كانت هبات فرعون عليهم لاتقاء شرورهم لا لمحض سخاء وكرم.

وكانت لفرعون عنـاية تامة بالموظفين الملكيين والحربيين ، فقد كان يهبهم فوق مرتباتهم هـدايا نفيسة ، وتحفا سامية ، نظير خدماتهم الخاصة (٢٥٥) حتى عدوه أعظم الكرماء ، والعادل فى توزيع ثروة الأمة .

وكانت ايرادات الدولة تتكون من أصناف المحاصيـل والزراعات ، بتقدير القيم لأنواعها ، فتدخرها الادارة الفرعونية للتصرف حسب اقتضاء الاحوال ، وكانت المعاملات كلها قائمة على قاعدة تبادل العروض ببعضها

ولم تكن ايرادات الدولة تقدر بكميات قطعية مضطردة فى كل عام ، بل كانت تقدر على نسبة المحاصيل المرتبطة بأحوال النيل وفيوضاته ، فالسنوات التى يكون فيها مستكمل الفيض تعتبر من سنوات السعة والرغد ، وعلى نسبة عامة ترد إلى خزائن الحكومة المقادير النسبية (كجباية الاعشار) من المحاصيل وغيرها .

---

(253) Breasted, A. R. II, s.s 285 et s. s. 606

(254) Maspero, La consécration..r, p. 117

(255) Voir supra, p. 55.

وكانوا يقدرون حالة النيل مقدما فى كل سـنة ، ويجعلون لـكل سنة حكمها فى الريع والصرف (٢٥٦)

فالحـكومة فى تقديراتها المالية والسير على هذا الترتيب ، كانت تراعى منتهى العدالة ، وتجتنب ارهاق الاهالى ، وتبعث المندوبين لمعاينة الأراضى. فما يستحق وضع الضريبة قررتها عليه ، وما يستحق الاعفاء لا تطلب منه شيئاً . (٢٥٧)

التعداد العام للاملاك المصرية — ويستعان فى ذلك بعمال التعداد فى احصاء المزارعين والصناع والاراضى الزراعيـة ، والمواشى الكبيرة والصغيرة ، ويوضع ربط الضرائب على مقتضى هذا الاحصاء للانفس والحاصلات . (٢٥٩)

وهذا التعداد العام السنوى يشمل الأموال المنقولة والعقارات المصرية ، ويساعد فى تسجيلات الاعيان وما يطرأ عليها ، والامتيازات المتمتع بها بعض الأراضى والصنائع المصرح بها ، ومعرفة كل شخص بالحصة التى تعود بالنفع على الحـكومة فى جميع ما ذكر

رؤساء العائلات المسؤولون عن تحصيل الاموال — والاشـخاص المسئولون عن المطالب الحكومية ، هم رؤساء العائلات ، القائمون بأعمالها وإدارة متاجرها ، وزراعة أراضيها ، وتشغيل مصانعها الخ .

وكانت الحكومة تعافى من ضرائبها الاشخـاص الذين تسخرهم فى القيام ببعض مصالح معينة كصيادى (اليفانتين) المكلفين بصيانة الملاحة فى القناة (٢٦٠)

ويضاف الى ايرادات الدولة المصرية ما تفرضه عـلى الواردات التجارية المستحضرة من البلاد الاجنبية

(256) Voir supra, p, 79

(257) Moret, Le Nil... l, p. 310

(258) Breasted, A. R. II, s.s 916 ,I, 31

(259) Sethe, Urkunden... c, IV, p. 1006.

(260) Fourteau, Note sur la navigation... p. 1. —Wilbour, Rec. Tr. 1890, t. XIII.—Breasted, A. R. II, s.s 649.

ويدخل فى ذلك الغلال والحيوانات وخشب لبنان (٢٦١) والمعادن والأوانى المصنوعة فى سوريا (٢٦٢) المستجلبة من الموانى الفنيقية (٢٦٣) وكذا ما يرد الى مصر علاوة على ما ذكر من بلاد بونت واثيوبيا من الذهب والعاج والبخور و بضائع أخرى كثيرة تستجلبها مصر لبعض حاجياتها (٢٦٤)

طبيعة ايرادات الدولة «والاريت» — ويعتبر من ايرادات الدولة الغنائم التى تأتى بها الجيوش المنتصرة، وكذلك الضرائب التى تفرضها الحكومة المصرية لذاتها على البلاد التى أخضعتها لطاعتها ، ومن التبادل فى العروض التجارية بين مصر وجيرانها السياسيين ، كما تدل عليه الخطابات السياسية التى وجدت بتل العمارنة ، وفى جملتها ما ينبئ بأن ملوك آسيا كانوا دائما يطلبون من فرعون البضائع المصرية التى تحتاجها بلادهم (٢٦٥)

و وجدت فى نقوش بعض المعابد مستندات تاريخية تدل على تبادل هدايا بسيطة أو محاصيل أجنبية كانت تؤدى لمصر كجزية لها (٢٦٦) .

وجميع ما يؤول إلى الحكومة من الضرائب على الانواع المتقدم ذكرها يجمع فى مخازن واسعة تدعى فى لغتهم « لاريت » — (٢٦٧) ذات نظام إدارى

(261) Breasted, A.R II, s.s 436—Sethe, Urkunden... c, IV,66

(262) Breasted, A. R. II, s.s 509 — Sethe, Urkunden... c, IV, 718.

(263) Moret, Des clans... k, p. 328. — Breasted, A. R. II, s.s 509. -- Sethe, Urkunden... c, IV, 700.

(264) Virey, Tombeau de Rekhmara... b, p. 28.

(265) La plupart des lettres de Tell el Amarna seraient à citer. Cf. particulièrement : Lettre de Bournabouryash, roi de Babylone à Aménophis IV (British Museum) no 81 de Bezold. — Lettre de Dusratta, roi du Mitanni, également à Aménophis IV (Musée de Berlin) no 23 de Winckler.

(266) Voir en ce sens, particulièrement dans les Annales de Thoutmès III, l'indication des tributs versés par le roi de Baby - lone. — Breasted, A. R. II, s.s 476.

(267) Virey Le tombeau d'Am-n-t'eh... e.

ولا يخرج منها شئ إلا بأمر أمير الخزانة وأمثاله (٢٦٨) .

وكان الجباة يجمعون المتحصلات بأنواعها إلى تلك المخازن الواسعة الصالحة لحفظ الأنواع ، لأنهم كانوا لا يقبلون الأشياء التى يسرع اليها التلف . وكان من القواعد المرعيــة أن ما يرد إلى خزائن الدولة يقدر بقيمة تعود عليهـا بأرجحية الفائدة ، حتى عند التصريف لأى سبب لا تفقد شيئا من القيم الاسمية لـكل نوع على حدته (٢٦٩) .

لم نقف على النصوص النظامية لهذه المخازن (لاريت) وحفظ الودائع بها ، ولـكن على كل حال كان العمل جاريا بما يكفل عدم الغبن فى جانب الدولة فى كل التصرفات (٢٧٠) .

وليس من المبالغة فى شئ أمام هذه الحقائق ، إذا أجمعت الآثار التاريخية على الاعتراف بأن فرعون المانح الأعلى للشعب حياة يتمتع بها ، وصحة تساعده فى شؤونه ، وقوة لحفظ كيانه ، وكانت إدارته ضياء يستمد منه الشعب السعادة والرخاء ، كما أن الفروع الحكومية كانت تراعى الأوامر الفرعونية العادلة فى توزيع الأقوات ، والغلال ، والثروة المتراكمة فى المخازن على الطبقات بنسبة الاستحقاق والعدالة (٢٧١) .

---

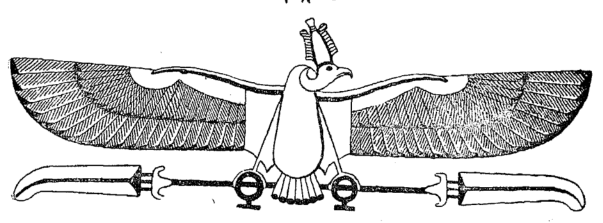
(268) Voir supra, p. 59.

(269) Maspero Etudes de Mythologie... p, t. IV, p. 431.

(٢٧٠) راجع ورقة متحف بولاق البردية رقم ١١ (المعاصرة للملك تحوتمس الثالث) التى تحوى كشفـا يوميـا بالمأكولات (لحم وخبز ونبيذ) أعطتها الادارة لشخص غير معين (راجع كتاب)

R. weill, l' Unité de valeur p. 67

(271) Virey, ibid.



الفصل الخامس

التجارة

ترقى الصناعة ، وتوفر الحاجيات ، هما عنوان السعادة والرفاهية للشعب المصرى ، وقد كانت مصر ممتعة بهما فى عهد الأسرة ١٨ .

وكأنّ إفراط فرعون فى الزينة ، والتغالى فى الزخارف ، حمل الشعب على الاقتداء به فى هذه المظاهر ، فاتبعه كبار الموظفين وصغارهم ، واقتدى بهم فى ذلك طبقات الجماهير . وتدلنا على رقة الأذواق والتناهى فى المدنية والرفاهية ، وسامة الملابس التى رسمتها الآثار نقلا عن تلك العصور .

وكان من الملابس الأنيقة نوع يستر ما تحت الصدر إلى الركبتين (الرهط) يتفننون فيه بتركيبه من جملة أجزاء ، ومن أقمشة ثمينة ، تختلف ألوانها وأجزاؤها حسب طراز الوقت . وكان عند النساء ينوب عن الثوب الصغير الشفاف من الكتان المستعمل فى العصور الأولى .

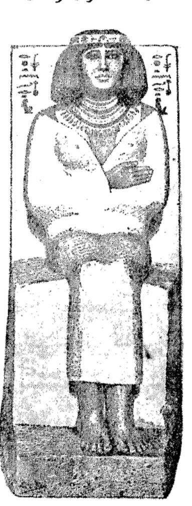
وكان الشعر الاصطناعى مستعملا عند الرجال والنساء ، (٢٧٢) فيوضع فوق الرأس بخيط مستدير حول الوجه تتخلله الانواع العطرية ، واستعملوا من الحلى القرط الذى نقل الى مصر من بلاد آسيا فى عهد الأسرة ١٨ .

(272) Winlock. Ancient Egyptian kerchiefs... a. — Hall, Some woden figures... k.

و بتنوع الحاجيات عنـد الافراد ، تطورت الانواع التجارية فى مصر فى عهد الاسرة ١٨ . ولم نقف على تفصيلات تنبئ بتأسيس حركات تجارية ، ولا ما كانت تقوم به الادارة المركزية نحو هذا التحول الفجائى .

توسعت المعـاملات التجارية بهيئة فردية بين مصر والبـلاد الاجنبية المجاورة لها .

واعتاد المزارعون والصـناع أن يسلموا لعمال فرعون نصيب الحكومة من



تمثال الاميرة نفرت (بالمتحف المصرى)
(نقلا عن كتاب)
دليل المتحف لماسبرو رسم ٣٠



خنوم حتبو القزم (والاصل بالمتحف المصرى)
(نقلا عن كتاب)
دليل المتحف لماسبرو رسم ١٠

محاصيلهم ، ومصنوعاتهم ، وما يتبقى لهم بعد هذه الضرائب يعتبر ملكا لاشخاصهم يتصرفون فيه بقدر حاجياتهم المشمولة بتدبير الرئيس العائلى فيتبادلون المحاصيل لعروض التجارة (التعامل العوضى الذى كان شائعا فى العصور الاولى) ويقنع كل فريق بما استحوذ عليه من الآخر فى شؤونه المعاشية ، وأحوال الرفاهية والرغد ، وعلى هذا قام كيان التجارة ورواجها بينهم .

وعرف المصريون بالتأنق والبذخ والتوسع فى المظاهر والفخامة. فأنواع الزينة والعطريات كانت معدومة من بلادهم ، فكانوا يستوردونها من البلاد الاجنبية كالروائح من الاسيا وميتانيه ، (٢٧٣) وأخشاب الزخارف والبناء ، (٢٧٤) والعربات المحلاة بالذهب والفضة ، (٢٧٥) والمنقولات الثمينة من بلاد بابل (٢٧٦) . والأوانى الفضية من سوريا ، (٢٧٧) وخشب الابنوس من أثيوبيا (٢٧٨) والحنة من بلاد بين النهرين (٢٧٩) والبخور من بلاد بونت (٢٨٠) .

التجارة الداخلية واحتكار الحكومة المصرية للتجارة الخارجية — وكان المصريون يستعينون فى استجلاب هذه الاشياء بوسطاء أمناء ، وكانت الادارة الفرعونية تستحضر بعضها على حسابها ترويجا للتجارة .

وقبلت الحكومة فى هذا العهد بعض النزلاء الاجانب تجارا ، وكانت تراقبهم على الدوام (٢٨١) حتى تتأكد من خضوعهم لقوانينها التجارية . وباستمرارهم

(273) Lettres d'El Amarna no 6 et 9 de Bezold.
(274) Ibid., no 5.
(275) Ibid., no 1, 2, 6 et 9.
(276) Notes and News, ap. A. E, 1922, p. 127.
(277) Virey, Le tombeau de Rekhmara... b, Pl. V.—Jequier, Matérianx pour servir... a, p. 252.
(278) Loret, L'ébène chez les Egyptiens, ap. R.T.VI, p. 125
(279) Breasted, A. R. II, s.s 501.
(280) Breasted, A. R. II, s.s 265-272. — Lucas, Cosmetics, perfumes... f, p. 44.
(281) Daressy, Une flotille phénicienne... b

على الطاعة والأمانة ، وكانت الحكومة تسوى بينهم و بين رعاياها فى المعاملات الدولية . (٢٨٢) .

واقتدى المصريون بباقى الشعوب ، فتعودوا الرحلة للبلاد الاجنبية ، لتبادل الاعمال التجارية ، وتجديد الصلات القومية ، ومنهم من كانوا موظفين رسميين يلقون الحفاوة والتكريم أينما حلوا . وقد وجد فى آثار تل العمارنة خطاب كتبه ملك الاسيا إلى فرعون مصر يبرئ نفسه فيه من سوء المعاملة للمصريين حال وجودهم ببلاده (٢٨٣) .

والبضائع الاجنبية حال وصولها إلى البلاد المصرية ، كانت تنقل فى مراكب أهلية تجتاز النيل إلى المدائن التى تقصدها . وكان المصريون يهيئون لذلك أسطولا (٢٨٤) من هذه المراكب ، وكانوا عندما يعتزمون أسفاراً بعيدة يستعينون بالأسطول الكريتى المتمرن على ذلك منذ أزمان طويلة (٢٨٥)

الموانى وطرق المواصلات ــ ولحسن الصلاة بين مصر وجيرانها كانت الموانى السورية كصور ، وصيدا،و ببلوس ، تستقبل المصريين و بواخرهم وتمهد لهم سبل أسفارهم وترويج بضائعهم .(٢٨٦)

وكانت تربط مصر بسوريا طريق فى الصحراء ، تلتقى بالقنطرة ، ويظهر أنه كان مخصصا للأغراض الحربية فقط (٢٨٧)

والبضائع التى تحتاج داخلية البلاد لتداولها كانت تنقل اليها ــ لتقريب

(282) Lettre d'El Amarna, no 5, de Bezold.

(283) Winckler, Der Thontafelfund... a, p. 10.

(284) Capart, A naval standard..., p. 8. — Breasted, A. R. II, s.s 777-779.

(285) Koster. Scheffsahrt und... — Glotz, La civilisation Egéenne..., p. 234. — Fougères, Les Premières Civilisations... p. 183-184.

(286) Breasted, A. R. II, s.s 483. — Dussaud, Byblos... c.

(287) Gardiner, Military road .. j.

المسافات ـ بواسطة سفن تمر فى النيل أو بعض الترع المخترقة لمواقع تلك البلاد (٢٨٨)

وكانت توجد قديما بين النيـل إلى البحر الاحمر طرق تجارية بين مصر و بلاد العرب ، والجانب الأفريقى للبحر الأحمر ، ومستعمرات سينـا الآهلة بالمناجم . وكانت توصل للمحاجر الضخمة التى تنقـل منها لوازم المبانى إلى طيبا والصعيد ، وعليها كانوا يسافرون إلى بونت و بلاد العرب الجنوبيـة ، وشاطئ الصومال ، تلك البلاد الشهيرة بالتوابل والنباتات العطرية (٢٨٩) . وهـذه الطرق كانت تبتـدئ من قبتوس إلى موانى البحر الاحمر وفى جملتها القصير (٢٩٠)

وتقام بالمدائن والقرى أسواق كانت تيسر للأهالى الحصول على مايشاؤون من الحاجيات المتنوعة ، لسهولة المواصلات . وهذه الأسواق أشبه بما نعرفه عن مثلها فى العصور الأولى (٢٩١) .

وكانت الأدارة الفرعونيـة تشرف إشرافا تاما على نظام و إدارة التعامل فى تلك الأسواق يعنون بتنظيمها واستقامتها ، وذلك بأيجاد منتدبين يكونون كوسطاء بين التجار و بعضهم منعا للتلاعب والغدر فى البيوعات .

وتنبئنا الرسوم المخلدة على جـدران المقابر والمعابد أن الحياة اليومية المبنية على التعامل التجارى ، كانت مكفولة النظام بدقة المراقبة ، واستعمال الموازين ، فيمتنع التلاعب ويأمن المتعاملون ببيع العوض فى الاصـناف ، من غدر أحدهما للآخر أو تغلب القوى على الضعيف

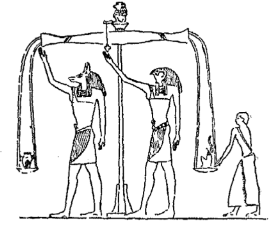
---

(288) Fourteau, Note sur la navigation. — Mariette, Monuments divers. c, p. 23

(289) Benedite (G.) ,Egypte (Guide Joanne), 1900, p. 618

(290) Lepsius, Les métaux... b, p. 10

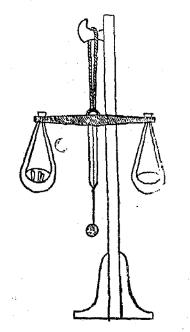
(291) Maspero, Sur une représentation..d, p. 255 s—Lepsius, Denkmaler, II, p 96





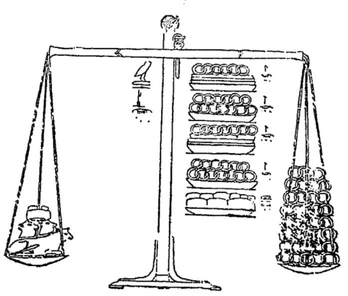
الميزان عند المصريين القدماء ـ والميزان الذى يستعمل فى الاسواق كان يستعمل أيضا فى تقدير ما يقدم بعد الحرب لخزائن الحكومة من الاصناف التى تقدمها الشعوب المغلوبة ، كجزية للفراعنة ، فهو لسان العدالة فى وقت السلم والحرب ينادى بوجوب المساواة بين طبقات الشعب وأفراده ، وبين بعض الدول و بعضها الآخر ، كما أنه قانون إلهى فرض على النفس ليكون رمز العدالة والمساواة . (٢٩٢)

(292) Ducros, Etudes sur les balances..., p.32



نقل المسيو (.DUCROS (H رسم هذه الموازين وغيرها عن الآثار ، ونشرها فى المجلة :

(Annales du Service des Antiquités de l'Egypte, 1908, t. IXp. p. 32-53).



هل كان للمصريين القدماء نقود من العملة المعدنية ـ وتقول بعض الرسوم الخاصة بالميزان ان إحدى كفتيه كانت تشتمل على حلقات من الذهب والفضة (كسنج) ويجوز أنها كانت تحدد مقدار القيمة المعدنية ، وعلى نسبتها تقدر أسعار البضائع الحقيقية ، ويحتمل أيضا أنهم كانوا يزنون بها عيارات الذهب والفضة لمعاملة التجار (٢٩٣) عن كل كمية فيها بما تعادله قيمة البضائع عند التبادل فيها بالانواع المختلفة عملا بتلك النسبة القياسية للقيم المعدنية وأصناف الحاصلات . (٢٩٤)

ولم تكن نقود العملة المعدنية معروفة في التعامل التجارى حتى عهد الاسرة ١٨

وحدة التقدير التعاملى «شاعت» هى وحدة الحساب ـ ومن المستندات ذات القيمة التى استطاع المؤرخون الوصول اليها ، ورقة بردية شهيرة باسم كاهون (٢٩٥) ، وفيها صورة محاضر لوحدة التقدير التعاملى فى الاسواق ، وأنها كانت

(293) Voir supra, p. 90-91.

(٢٩٤) قال شيفر إنه لم يعثر على حلقات معدنية مصرية ذات بصمة رسمية تحدد نوعيتها المعدنية وقيمتها فى المعاملات العامة

(295) Gardiner, Four papyri of the XVIII th... dont deux ont été traduits par Maspero, J. des Savants, 1896, p. 152-155.

تجعل للبضائع وحـدة مالية تدعى « شاعت » (٢٩٦) وهى التى يستعملونها فى حساباتهم

وفى ورقة برلين البردية نمرة ٩٨٧٤ (٢٩٧) التى يرجع تاريخها إلى عهد الملك أمنوفيس الثالث ، توجد تفصيلات لميزانية التعامل للشاعت المذكور وفيها بيان الأمثلة الآتية :

يعطى للخادمة عن استخدامها يومين فقط ما يأتى :	ثوبا قيمته ٣ ونصف شاعت ثوبا آخر قيمته نصف شاعت
ويعطى عن استخدام خادمة أخرى مدة أربعة أيام	حبوبا قيمتها ٤ شاعات ٦ معيز « ٣ شاعات قطعة معدنية قيمتها ١ شاعت

فيكون المجموع عن هاتين المدتين ١٢ شاعتا

والغرض من تحديد قيمة التعامل بهذا الاصطلاح ، تقريب المقدار المادى لـكل نوع من أنواع المعروضات .

وكانوا يقدرون المعادن الثمينة بنسبة وزنها النوعى فقط ، والعرف يرشد إلى قيمة ما تساويه كل قطعة .

طريقة الوزن بالكيت والدبن — وكان اصطلاح المصريين التعويل فى وزن المعادن على مايسمى « الكيت » المعادل تقريبا ٩ جرامات، ويرادفه فى الاستعمال « الدبن » (٢٩٨) المعادل ٩٠ جراما وهذا الأخير استعمل فقط لوزن الذهب .

فنجد إذن فى إحدى أوراق كاهون الأربعة البردية، وورقة برلين تحت نمرة ٩٧٨٥ (٢٩٩) البيانات الآتية :

---

(296) Weill, L'unité de valeur shat., b.

(297) Gardiner, ibid., p. 28.

(298) Dans les Annales de Thoutmès III. tout l'Or, l'Argent, le Cuivre, le Lapis lazuli etc... remis en tributs aux armées égyptiennes sont pesés en deben et en kit. cf. Weigall, Weights and Balances a, I à XVI.

(299) Gardiner, ibid., p. 38.—Weill, ibid, p. 49.

بقرتان قيمتهما ١٦ شاعتا فتكون قيمة المجموع دبن عدد ٢
عجلان « دبن واحد وشاعت (...)

وعثرنا على ورقة بردية أخرى يرجع تاريخها إلى عصر قبل الأسرة الثامنة عشرة ، تسمح لنا بان نكمل الجزء المفقود من ورقة برلين البردية ، إذ أنه يرشدنا عن العلاقات الآتية بين موازين المعادن وقيمتها الحسابية (٣٠٠) .

١ دبن من الذهب قيمته ١٢ شاعتا
١ دبن من الفضة قيمته ٦ شاعات
١ « « الرصاص « ٣ شاعات

ومن هذا يعلم أنه فى عهد الأسرة ١٨ كان اتحاد « الشاعت » وحدة الحساب مع مقدار المعدن من الذهب أو الفضة وعلى أساس ١٦ شاعت التى تساوى دبنا واحداً من الذهب

تقرير البضائع بالشاعت من الذهب والفضة ـ فى ذلك العصر بدأنا نحدد قيمة البضائع « بالشاعت » الذهب ولا سيما « بالشاعت » الفضة وانه مختلف الوزن . ومكتوب فى ورقة بولاق البردية نمرة ١١ ويرجع تاريخها الى الملك تحوتمس الثالث وتبين تفاصيل البضائع المسلمة يوميا أنها مدفوعة عن بضائع أخرى مباعة أو نظير خدم

وتلك البضائع المسلمة تستمر مفصلة ومقررة ، وكل الأثمان بدون استثناء مثمرة «بالشاعت» ولكن تارة مذكور « بالشاعت » فقط وتارة بتداخل الصيغ بالشاعت الذهب وهذا يبين لنا أنه كان لديهم شاعت من الذهب وشاعت من الفضة وربما كانت القيمة مختلفة (٣٠١) .

وفى عهد الاسرة ١٨ صار «الشاعت» وهو وحدة الحساب عياراً خاصا بالعملة

(300) Papyrus Rhind, cf. Eisenlohr, Mathematic Handbuch, no 62. Pl. XIX, p. 151-152.—Chabas, Recherches sur les poids et mesures..., p. 323.
(301) Weill, ibid., p. 52.

ولكن لم ينفذ العمل به الا بعد زمن طويل ، لأن مصر لم تعرف العملة الا فى زمن احتلال الفرس سنة ٥٠٠ ق . م . (٣٠٢) .

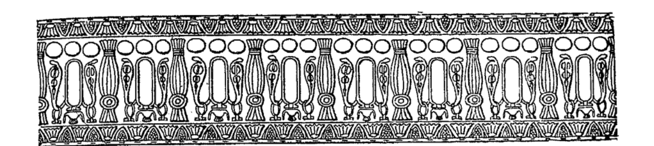
ولم يحسن المصريون فى تقدير الشاعت بصفته قيمة حسابية أو قيمة معدنية . واذا كانوا اتخذوا « الشاعت » وحدة خاصة بالعملة ، كانت هذه الوحدة تساوى بالوزن من الذهب ٥ ر ٧ بدون أى تقرير بوحدتها العيارية « الكيت » ووزنه ٩ جرامات وكان هذا سببا فى الخلاف .

بعض البضائع المقدرة بعدد جرامات الذهب ـ إن التعليمات الموضحة فى الورقتين البرديتين « كاهون و بولاق نمره ١١ » وتقدير الشاعت بالبضائع المستبدلة مكنتنا من تحديد عدد جرامات الذهب التى تضاهى فى عهد الاسرة ١٨ قيمة بعض البضائع أو بعض الخدم ، ولكن فى بعض تلك المقادير ، تستقر أكثر التحفظات فى كثرة الغلطات الممكنة .

و بصفة واضحة نذكر هنا المطابقات الآتية :

نوع البضائع والعمل المشغول	التقدير بالشاعت	التقدير بالجرام من الذهب
١ شغل يوم لخادمة	٢ شاعت من الذهب	١٥ جرام من الذهب
١ ثوب من الصوف الغليظ	١٤ « « «	١٠٩ « « «
٣ فوط من التيل	٤ « « «	٣٠ « « «
١ معزة	١/٢ شاعت من الذهب	٧٥ ر٣ جرام من الذهب
١ عجل	١ دبن من الذهب	٩٠ « « «
١ بقرة	٨ شاعت « «	٦٠ « « «
١ رأس عجل	١/٢ « « «	٣٫٧٥ « « «
١ رأس ثور	١/٤ « « «	١٫٩٠ « « «
١ قدرة من النبيذ	١ « «	٧٫٥٠ « « «

(302) Chassinat, Monnaies Egyptiennes... b.



الفصل السادس

الاقتصاد المدنى

كانت شواطئ النيل من بلاد النوبة إلى الدلتـا ممتازة بالمدن والقرى التى اندثر أغلبها ، ولم يبق من معالمها الا بعض الآثار القليـلة ، التى تدلنـا عليها الأماكن الدينية ، وساعـدت بقايا بعض المقابر فى بيان حقيقتها التاريخية التى توجد بالقرب من تلك التلال

وكان بين هذه المدن الشهيرة التاريخية من الوجه القبلى :

(١) خنو (سلسلة) مدينة كان يسكنها عمال المحاجر الكبيرة ذات الحجر الرملى

(٢) نخب (الـكاب)

(٣) جبتيو (قبتوس) مدينة القوافل

(٤) تني (طينة) (ابيدوس)

(٥) ايو (بقرب سوهاج)

(٦) سيوط . (أسيوط) عاصمة الاقليم الثالث عشر

(٧) خمو رو . محل عبادة الطائر إبيس (اللقلق)

(٨) برسبك (كروكوديلو بوليس) فى الفيوم

وفى الوجه البحرى المدن الآتية :

(١) من نفر (ممفيس)

(٢) (خاست) وهى بلدة قوص

(٣) براتوم (تل المرخوطة) المجاورة للاسمعيلية الواقعة بقرب البحر

(٤) برازوريس (ابو صير)

(٥) ايونو (هليو بوليس)

(٦) زبت محت (تانيس)

وأهم المدن الفرعونية فى ذلك العهد، عمرانا ومدنية ، مدينة طيبا التى كانت عاصمة الديار المصرية ومركز عبادة المعبود أمون أكبر الآلهة

طيبا ذات المائة باب ـ وطيبا هى المدينـة الـكبرى ذات التاريخ الرائع التى تعددت لها الأدوار الشهيرة وهى أسبق فى العمران من مدينة روما (٣٠٣) نحو ألف سـنة . وكان عدد سكانها أكثر من ١٠٠٠٠٠ نسمة (٣٠٤) .

واقتضى اتساع العمران أن جعلت طيبـا حسب تخطيط النيـل قسمين الشاطىء الشرقى و به مقر العاصمة الحـكومية وتشمل منطقة الاقصر والـكرنك ومعابدها ، وفيها أقيمت المبانى الكثيرة ، وخصص جزء فخم من مساحتها لا كايروس أمون الممتع بحرية تامة و إدارة منفردة ، و زراع وصناع خصوصيين .

والامتيازات التى كانت للـكهنة والمعابد فى حدود طيبا هى من نوع المنح الممتع بها أمثالهم فى المدن الأخرى

---

(303) Moret, La Nation Egyptienne, m, p. 369.

(304) Maspero, La vie populaire... j. p. 308. Sur Thèbes et la vie à Thèbes au temps des Pharaons: Cf. Capart, La gloire d'un grand passé, 1925, d.

والشواهد والنقوش التى وجدت على جدران معابدها التذكارية شرحت لنا عظم الهدايا الكثيرة التى أسداها فرعون عند رجوعه ظافراً من بعض غزواته وهى تعد أساس ثروة المعابد

ومما لا يغيب عن الفكر أن الثائرين قبل الأسرة ١٨ لما أحسوا بانهزامهم ، هدموا كثيرا من الآثار والمعابد الفخمة ، وقد اهتم الملوك المشاهير باسمى تحوتمس وأمنوفيس بتجديد و إقامة ما يفوقها عظما وفخامة حتى أنك كنت ترى المناطق من سولب (٣٠٥) (ببلاد النوبة) إلى الدلتا كأنها مصانع كبرى للمبانى الدينية

وأكليروس أمون رع يخصص بكثير من هبات الفراعنة لا سيا فى عهد امنوفيس الثالث الذى كان عصره عصر سلام وعمران (٣٠٦) ، تدل على ذلك المبانى الضخمة التى أقامها فى الأقصر والكرنك (٣٠٧)

وكان يظن أن يقتصر موقع طيبا فى الشاطئ الشرقى على منطقة الكرنك ، ولكن كثرة السكان فى عصر الاسرة ١٨ أدت الى اتساعها واتصال العمران إلى مدينة الأقصر ومعبدها الواسع وجذب إليها كثيراً من الزائرين

ويوجد فى الشاطئ الغربى الجزء الباقى من طيبا الشهيرة بمدينة الاموات . وسبب إطلاق هذه التسمية عليها اتجاه الرغبات من الاغنياء والفقراء إلى اتخاذ مقابرهم فيها فأقام الفراعنة بها معابدهم الجنازية الفاخرة (٣٠٨)

(305) Breasted, A. R., II. s,s 890.

(306) Voir particulièrement le texte de la stèle de granit noir découverte par Fl. Petrie à Thèbes. — Petrie, Six temples, Pl. XI, XII. — Breasted, A. R., II, s.s 878-892.

(307) Moret, Au temps des pharaons... i, p. 2 et 3.

(٣٠٨) مثلا معبد الملكة حتشبسوت بالدير البحرى ومعبد امنوفيس الثالث الذى لم يبق منه إلا تمثالا الملك أمنوفيس الثالث (ممنون) وهو من حجر واحد ولا بد أنهما وضعا أمام مدخل المعبد

والاهتمام بتشييد المقابر والمعابد فيها أدى إلى اتساع المصانع بها وحبب إلى الجماهير الاستيطان بها ، فجددوا المساكن بكثرة وانتعش العمران حتى كاد لا يوجد فرق فى فخامة التشييد بين القبور ومساكن الاهالى (٣٠٩)

وكانت الحدائق الجنازية (٣١٠) كبيرة أو صغيرة تزيد فى رونق الموقع والارتياح إلى مناظره الرائقة . لأنه كان منها ما يصلح لمقابر الملوك ، كما يصلح اتخاذه للفقراء ، ولكن التغير والانقلاب لم يبق لتلك المناظر قيمتها العمرانية فأصبح ذلك المنظر الصحروى خاليا من محاسنه الاولى

و بقدر ما كان الاهالى ينالونه من سخاء فرعون وكثرة الأغداق عليهم ، كانت آمالهم فى الثروة والاعمار تزداد حينا بعد حين ، فكانوا يبنون مقابرهم بنية التوسع فى فخامتها وعظمها . فمن امتدت بهم سعادة الحياة وطول العمر استطاعوا تنفيذ تصميماتهم العمرانية ، ومن عاجلتهم المنايا تركوها قواعد أولية كجدران لم يتم بناؤها (٣١١)

وكانت تعنى بصيانة هذه المقابر وعدم انتهاك حرماتها جمعيات ذات شأن عظيم تدعى « سوتمواشو » وكانت لمغالاتها فى هذا التحفظ وأعمال الصيانة لا يمكن الحكم على أى الصبغتين أكبر قوة لها فى النفوذ هل الصبغة الدينية أو المدنية ؟ (٣١٢)

وكانت مرتبات هذه الجمعيات ونفقاتها للقيام باعمالها بهمة ونشاط ، تؤدى من أصحاب المقابر والمعابد ، والتى ينقرض ذووها ولا يوجد من يعنى بحفظها وصيانتها ، فبعد أن تصبح متروكة وغير مخصصة لأحد تمنح بتمليك جديد

---

(309) Bruyère, Deir el Medineh, d, p. 4.
(310) Maspero, Notes sur quelques..., n, p. 107.
(311) Mackay, The cutting and... b.
(312) Voir supra, p. 97 .

لآخرين ممن يرغبون فيها (٣١٣)

ولما كانت قصور الملوك ومنازل الافراد غير ضخمة ، تلاشت فى أزمنة قريبة وما تعاقب بعدها ؛ أقيم على أطلال من متخلفات الاجيال الأولى ، ولا يمكن الجزم بأنه يوجد تحتها بعض الآثار من بقايا الفن المعمارى القديم

تل العمارنة عاصمة مملكة أمنوفيس الرابع (اخناتون) — ولولم يكن أمنوفيس الرابع (اخناتون) أقام مدينة تل العمارنة وجعلها عاصمة ملكه ، لما استطعنا معرفة الحياة الداخلية المعاصرة للاسرة ١٨

ويمكننا أن نكتفى فى الدلالة على الاقتصاد المدنى فى ذلك العصر بما اتبعه الملك امنوفيس الرابع فى تأسيس مدينة جديدة ، لأنه لما فكر فى إنشائها لم تكن أرضها مشغولة بأحد ولا فى حوزة ملوك آخرين (٣١٤)

وقد جعل حدودها ثلاث كيلو مترات طولا ، وبلغ عدد سكانها ٣٠٠٠٠ نسمة (٣١٥)

وقد استمرت تلك المدينة (٣١٦) آهلة بالعمران نحو ١٣ سنة ، ثم هجرت

---

(313) Voir le texte de l'ostracon no 5624 (2) du British Museum, Erman, Zwei Actenstucke aus der thebanischen Graberstadt ap. Sitzungsberichte der Koniglichen Preussischen Akademie der Wissenschaften, 1910, p. 330 à 347, traduit par Bruyère, Deir el Medineh, b, p. 8.

(314) Stèle frontière d'Aménophis IV. — Davies, The rock tombs... e, p. 29. — Peet, Excavations at... b, p. 172 s. En sens contraire : Borchardt, Ausgrabungen. . b, 50, 9.

(315), Griffith, Excavations... e, p. 304. Quatorze stèles limites ont été retrouvées. — Petrie, El Amarna, Pl. XXXIV. — Daressy, Tombeaux et stèles limites de Hagi-Qandil ap. Rec. Tr. t. XV, p. 36. — Breasted, A. R., II, s.s. 946.

(٣١٦) زار هذا المكان العلماء ولكنسن وشامبليون ولبسيوس وبدأت الحفائر فقط سنة ١٨٨٣ واكتشف ماسبرو بعض القبور المحفورة فى الصحراء.

و بقايا رسومها التى تحت الرمال تمثل لنا ترتيبها و رسمها (٣١٧)

شيدت لها ثلاث طرق متوازية تجتــازها من الشمال إلى الجنوب على وضع أشبه بخط التنظيم تتصل بشوارع للمرور

ولم تخصص فى إنشائها أحياء لمنازل الأغنياء بمعزل عن مساكن الفقراء ، اذ ترى فى وسطها مساكن لـكبيرالكهنة والوزراء . وبجوارها منازل يقطنها عمال الجلد وصناع الزجاج (٣١٨)

وكل مبانى تلك المدينـة للأغنياء والفقراء من اللبن (الطوب النيئ) ولم تستعمل الحجارة الا فى بناء العتبات ومحيط أبواب المنازل ، وكانت الأبواب من الخشب وقليل منها بالحجر

وفى سنة ١٨٩١ عمل حفائر أخرى وسط المدينة

وفى سنة ١٨٩٢ جمعية المساحة الاثرية (Archaeological Survey) بدأت أعمالها فى قبور العمارنة ونشر عنها المستر ديفيس .

وفى سنة ١٨٩٦ عـثر المسيو برسنتى عـلى بعض الآثار المحفوظة اليوم بالمتحف المصرى ولـكنه لم ينشر عنها شيئا

وفى سنة ١٩٠٧ تحصلت الجمعية الاثرية الالمانيـة على رخصة بالحفر هناك واكتشفت آثاراً قيمة ملأت بهـا متحف برلين بالقسم المصرى ، ثم جاءت الحرب الـكبرى سنة ١٩١٤ فاوقفت حفائرها ، لـكن نشرت أعمالها فى مجلة (Mittheilungen der Deutschen Orient Gesellschaft) وأخـيرا تحصلت الجمعية (Egypt Exploration Society) على رخصة بالحفر بتلك المدينة وبدأ العمل هناك (Peet et Wöolley) ونشرا أعمالهما فى الجزء الأول من كتاب (The City of Akhenaten) والمستر بندلبورى لا يزال قائما باعمال الحفر هناك ونشر الـكتاب الثانى عن مدينة اخناتون

(317) Sur la vie à El Amarna cf. : Clara Siemens et Grethe Auer, Konig Echnaton in El Amarna.

(318) Peet et Woolley, The city... c, p. 2.

وأرضية منازل الفقراء كانت من الطين (اللزج) المدهوس . وأرضية منازل الأغنياء من اللبن ، وعليها طبقات من الجير

وبناء القبور والبيوت كانت على شكل مربع ويتعمدون أن يكون لها اتجاه للنيل . ومحتويات كل منزل مدخل ، وقاعة كبيرة ، وغرفة للنوم ، ومطبخ ، وسلم موصل إلى السطح . (٣١٩) .

والمنازل الهامة لتلك المدينة يوجد بها زيادة عن المنازل الصغيرة ببعض حجر تتجه إلى الشمال فى الصيف ، والبعض إلى الغرب فى الشتاء ، والحجرة العامة فى وسط المسكن ، وتمتاز بارتفاع عن باقى الحجر ، وفى جدرانها العليا بعض شبابيك لأيصال النور للمنزل كله ؛ وجدرانها مبيضة بارتفاع قامة الرجل فقط لزيادة الضوء والباقى للسقف . والأبواب بها رسوم ذات ألوان ناصعة (كالاحمر والازرق والاصفر) ويزينونها بأكاليل من الزئبق وبينها مناظر للطيور . وكل ذلك يجعل للجدران رونقا وبهاء (٣٢٠) .

وتزين السقوف أيضا بألوان أغلبها الأزرق ، وتقام على أعمدة خشبية مسندة على أساسات من الحجارة (٣٢١) .

ويوجد بداخل القاعة الكبرى مكان للاغتسال ، وفى بعض أجزائها توجد أماكن للجلوس بارتفاع قالبين أو قالب . وفى جوانبها منقد ملتصق بالأرض للتدفئة (٣٢٢) وكان صاحب البيت يستقبل زائريه فيها فى ليالى الشتاء

---

(٣١٩) واعتاد المصريون فى حاجياتهم الاعتناء بالنظر إلى النيل والانتفاع بنسماته فى مساكنهم والتماس البركة من رؤيته فلذلك تعمدوا أن تكون واجهات منازلهم مطلة عليه

(320) Borchardt, Boruntersuchung... a, p. 21.

(٣٢١) سقف القاعة الوسطى لمنزل (نخت) وزير اخناتون كان مستنداً على ثمانية أعمدة من الخشب CF. Woolley, Excavations 6. p.

(322) Borchardt, ibid., p. 22-23.



والحجر الداخلية للمنازل لا يدخلها الأجانب . واعتادوا اتخاذ أمكنة فى الجزء الفضاء بين الحجر لوضع الحصر للرقاد عليها بدلا من الأسرة (٣٢٣)

وكانوا يخصصون بداخل منازل تل العمارنة قاعة للاستحمام ، كما اعتادوا فتح قنايات فيها تحت الأرض(٣٢٤) لتصريف المياه . أما القول بأن بعض منازلها كان بناؤه من دورين ؛ فلا يجزم بصحته المؤرخون (٣٢٥)

واعتادوا أيضا اقامة المرافق والحدائق واحاطتها بجدار يفصل بين كل مالك وجاره

والمرافق عبارة عن مطبخ ومخازن لحفظ الحبوب واصطبلات للمواشى

وحدائق المنازل المار ذكرها يتخللها أشجار مصفوفة على شكل منظم يستجلب لها الماء من بئر ، وتعمل لها الاحتياطات اللازمة لتصريف المياه ،

(323) Petrie, Tell el Amarna, c, p. 21.
(324) Peet et Woolley, The city... c, pl. VI, 1.
(325) Frankfort, Preliminary report... b, pl. XXII.

و رى المزارع والمياه تجرى فى حوض صغير محدود بصف من الطوب ويحيط جذع كل شجرة (٣٢٦)

وتخطيط الشوارع وطرق القبور والمواصلات اليها كانت فى تل العمارنة مماثلة لما كان عليه العمل فى مبانى الآثار الدينية والجنازية لكل الجهات

وكانت تمتد من هذه المدينة طرق فى الصحراء توصل الى محاجر حتنوب والمقابر النائية

الحياة الداخلية وقرية الشغالة — وفى شرق تلك المدينة قرية حقيرة بين المقابر علم أن سكانها من طائفة الشغالة المخصصين لبنائها

وهذه القرية (٣٢٧) يحيط بها سور ، وهى مربعة الشكل مكونة من ستة شوارع متوازية ، كل منها تحدها منازل العمال ، ومشتملات البيت ، واجهته طولها ٥ أمتار وعرضها عشرة . ويؤلف البيت من أربعة أمكنة ، المدخل ، وقاعة للجلوس ، ومطبخ ، وسلم يوصل للسطح ، وهو شكل يشبه منازل الريف بحالتها اليوم . (٣٢٨)

ولا يوجد فى بيوت العمال محلات لادخار المؤونة ونحوها ، مما يدل على أنهم كانوا يتناولون مرتباتهم اليومية من نوع الاصناف المكونة لمعيشتهم وأقواتهم الوقتية

وما أمكن الوصول اليه من آثار العمارنة يدلنا على بساطة حالتهم ومعيشتهم الاقتصادية ، حتى أنك لا تجد ما يستحق الذكر عن مبانيهم ، غير ما اكتشف

---

(٣٢٦) لا تزال هذه الطريقة مستعملة اليوم ونجد مثلها فى قبر مريا (راجع كتاب . (Davies, the rock tombs a pl. XXXII.

(327) Peet et Woolley, The city. . e, d. 51 s.

(٣٢٨) المستر Woolley يلفت النظر الى الشبه الغريب بين منازل العمال وبين منازل فلاحى قرى Cuchok اليونان واناتولى الغربية

فى جهة الحج قنديل (٣٢٩) ، إذ أظهر الاكتشاف مكانا واسعا للملك ، تتخلله حديقة ، وفى وسطها بحيرة اصطناعية ، ومعبد ، وضيعـة ، ومبان مختلفة ، تدل على أنها كانت كمنتزه (ماروواتن) (٣٣٠) يقضى الملك فيـه مع بعض حاشيته وعائلته بعض أوقات الفراغ ، للاستراحة من الأعمال الحكومية (٣٣١) .

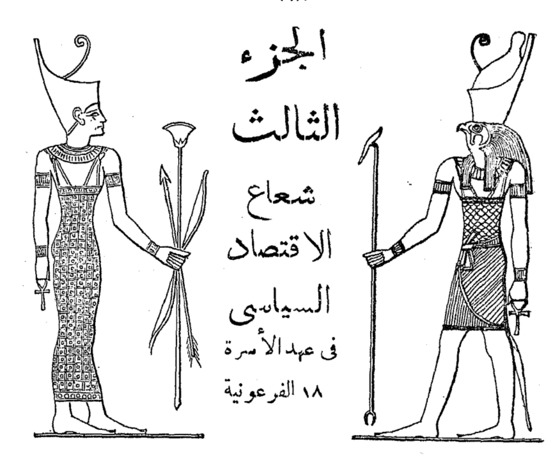
---

(٣٢٩) (بترى ، تل العمارنة) يظهر الشبه بين القصر المنسوب لامنوفيس الرابع وبين قصور التيرينيين وكنوس بكريت القصور الاسوية للاخيس وبوغاز كوى راجع الحفاير بتـل العمارنة Jour.Eg.Ar.1626 t X11 p.3

(330) M. Woolley l'appelle le Petit Trianon du 14o siècle avant J.-C; Excavations... b, 81.

(331) Voir supra, p. 87





الفصل الاول

الفتوحات الفرعونية وفوائدها

فى أوائل الأسرة ١٨ كان للمصريين اعتياد بالأسفار ، ومخالطة الشعوب الأخرى ، وتجول فى البلدان كسوريا ، وبلاد بين النهرين ، وآسيا الصغرى ، وجزائر قبرص ، وكريد ، و بلاد العجم (٣٣٢)

ولكن هذا الاختلاط كان نادراً ، لان الاسفار لم تكن إلا بقدر ما تدعو إليه الحاجة . وغالبا كان أرباب الوظائف الذين ينتدبون لأداء بعض الأعمال

(332) Fougères, Les premières civilisations..., p. 122. — Peet, The early relations... a.

فى تلك البلاد ، قليلون جداً (٣٣٣)

وقد أدى عدم الاختلاط بأهاليها لجهل المصريين باحوالهم وعاداتهم ، وأوجد هذا التقاطع جهلا كليا بشؤونهم ، واتخذ كتاب قدماء المصريين هذه الجهالة ميدانا لنشر الاقاصيص وتلفيق الروايات

وتقدم القول بأن الأسرة ١٨ بعد طرد الهكسوس ابتدأت فى تغيير الاعتبارات السياسية لمواصلاتها وعلاقاتها مع الشعوب المجاورة (٣٣٤) . والفراعنة بحكم التأهب للغزوات وقمع التعديات على الحدود ، اضطروا لايجاد وتنظيم تحصينات فى حدود سوريا ، اذ أصبحوا لا يستطيعون التخلص من مجاراة السياسة الشرقية التى أحاطت بها مشاغباتها .

ولما اهتم أعحمس الأول رأس الاسرة ١٨ بالدفاع عن البلاد وصد الأعداء ، غزا تلك البلاد المجاورة له ، والمناوئة أيضا حتى وصل فى غزواته لحدود سوريا ، ولكنه لم يتوغل الى البلاد الداخلة ، فاقتصر على احتلاله ناحية (شاروهانا) ، (٣٣٥) وبها شيد المعاقل وحصن القلاع .

استرسال تحوتمس الاول فى غزوات آسيا ـ أما تحوتمس الأول فقد استرسل فى الغزوات والفتوحات واخترق بجيوشه صحارى سوريا كلها ، إلى ساحل الفرات ، وهناك أقام شاهداً تذكاريا (٣٣٦) ويظهر أنه لم يستفد من تلك

---

(333) Voir de l'époque d'Amenemhat Ier (environ 2000 ans av. J.-C.) le papyrus No 1 de Berlin : « Les aventures de Sinouhit » Trad. par Maspero, Les contes populaires... x, p. 84-87. — Gardiner. Eine neue handschrift der Sinuhegeschichte (Berlin. Akad. 7 fév. 1907) — Moret, Rois et Dieux... j, p. 215-233. Voir également le papyrus Anastasi I, dans Chabas. voyage d'un Egyptien, p. 223—226.

(334) Voir supra, p. 27

(335) Voir la stèle trouvée par Legrain à Karnak, ap. An. Ant. IV, p. 27-29 — Breasted, A. R. II, s.s 32. — Moret, Des clans... k, p. 308.

(336) Annales de Thoutmès III, Sethe, Urkunden... c, IV, p. 697.

الفتوحات ، لأن الشئون الداخلية ألجأته لاسترجاع جيشه إلى بلاده ، فلم يترك في تلك المواقع الا حراسا قليلين لبعض المناطق قبلى فلسطين (٣٣٧)

وهذا الظرف الاستعمارى ، أحدث فى نفوس المصريين روح النشاط والحمية والحماس الوطنى فاستطاع الجيش بعد ذلك اختراق البلاد التى لم يسبق له اجتيازها، ولم يكن يعرفها الا بعض الأفراد أو وفود التجار .

وكانت روايات المصريين عن هذه البلاد أشبه بخيالات روائية ، فانهم كانوا يتناقلون الأحاديث عن وصولهم إلى آسيا والجبال المحيطة بها المياه المتجمدة ، والتى فى قممها تلول الثلوج ، كالصخور المتراكمة ، وأنهم عبروا خلفها نهراً غريبا كالنيل ، ولكن اندفاع الماء فى تياره على العكس من اتجاه ماء النيل فى ممره (٣٣٨) .

واضطر المؤلفون فى تدوين الروايات جعلها باسلوب شائق يبث فى نفوس الأهالى الشجاعة والحمية والاعتقاد بسطوة فرعون ونفوذه على تلك البلاد (٣٣٩).

والنقوش التى شوهدت فى معبد الدير البحرى ، (٣٤٠) خاصة برحلة تحوتمس الثانى الى آسيا ، ونهر الفرات ، لم تذكر تفصيلات عن تلك الوقائع ونتائجها .

والخصومات التى انتشرت بين الأسر بعد حكم أمنوفيس الأول ، أدت الى انحطاط السلطة الفرعونية فى آسيا ، وتلاشى هيبتها. والمملكة التى كانت عاصمتها « كادش » انتهزت هذه الفرصة للتخلص من احتلال المصريين لها بمساعدة ملك ميتانيه الذى كان قوى الساعد وافر الاستعدادات ، والتحقت بها جميع الولايات الآسوية من مدينة زارو (٣٤١) ذات الحصون المنيعة الى الفرات.

(337) Moret, Ibid., p. 310.

(338) Moret ,ibid.

(339) Voir stèle de l'île de Tombos en Nubie publiée par Piehl, Petites études égyptologiques-Lepsius, Denkmaler, III, 5, a. Commentée par Breasted, A. R., II, s.s 67. Voir également la stèle d'Abydos du Musée du Caire.—Mariette, Abydos. II, 31— Breasted, A. R., II, s.s 90.

(340) Naville, Deir el Bahari, a, III, 80.— Breasted, A. R., II, s.s 125. — Sethe, Intersuchungen... b, I, 40.

(341) Clédat, Nécropole de Qantarah...



تحوتمس الثالث أكبر ملوك مصر الفاتحين وهو فى ريعان شبابه
والاصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى

(نقلا عن كتاب)
(Legrain, Statues des Rois ...)

تحوتمس الثالث الشهير باسم نابليون القرون الماضية - ولما آل الحكم

إلى تحوتمس الثالث (الذى يعبر عنه المؤرخون باسم نابليون القرون الماضية)(٣٤٢) تقلد رئاسة الجيش المصرى ، وأدخل فى تعاليمه تمرينات وأساليب حديثة حتى تأكد من كفاءته وقوته فباشر فى السنة ٢٢ من حكمه غزواته الأولى مبتدئا من آسيا ، واستولى فى تنقلاته على مدن سورية كثيرة الى (مجيدو) بعد حرب شهيرة . (٣٤٣)

واستمر الملك تحوتمس الثالث بعد غزواته الأولى فى حروب مع بلاد آسيا استغرقت نحو ١٦ سنة ، وفى خلالها احتل كثيرا من البلدان الآسورية ، ونظم حكوماتها ، واتخذ جميع الاحتياطات الكافية للاطمئنان واستتباب الأمن بها. وهذه الغزوات ذكرت فى النقوش الداخلية على الجدار المحيط لقدس الأقداس لمعبد أمون الكبير بالكرنك ، وعنوانها « أخبار تحوتمس الثالث » (٣٤٤) وهى تفسر العبارات المماثلة لها فى المستندات المعاصرة الاخرى (٣٤٥)

وبلغ تحوتمس الثالث فى غزوته السادسة من النصر والفوز مبلغا كبيراً باستيلائه على « كادش » تلك العاصمة التى تمردت على الفراعنة للتخلص من احتلال مصر لها ، وأصر تحوتمس المذكور على معاقبة ملك ميتانية انتقاما منه على مساعدته لكادش فى هذا التمرد ، وحار به أكثر من مرتين . وبعد عناء وثبات طويلين ، استولى تحوتمس الثالث على كركميش (٣٤٦) ، واستمر بعد

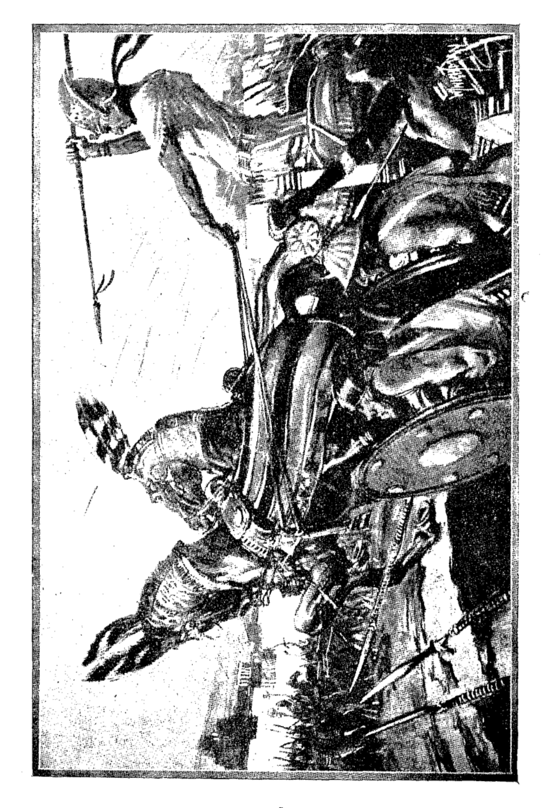
(342) Capart, Thèbes, la gloire... d, p. 22.

(343) Nelson, The battle of Meggido, Chicago, 1913.

(344) Lepsius, Denkmaler, III, 30a,31a et b. 32.—Sethe Urkunden... IV, 647 s.—Breasted, A. R., II, s.s 391-540.

(345) Par exemple ; Représentation de la tombe de Amenemhab à Cheikh abd el Gournah, Virey,a, p. 224. - Inscriptions du couronnement de Thoutmès III. Mariette, Karnak, 14-16, Breasted, A. R., II, s.s 131 s. - Stèle triomphale de Karnak, Sethe, Urkunden, IV, 611 s., Breasted, A. R., II, s.s 656. — Inscription No 355 de Médamoud, Drioton, c, p. 56.

(346) Woolley et Lawrence, Carchemish, Report.. c, p. 14.



تحوتمس الثالث يحارب على عربة تجرها الخيل فى معركة مجيدو الشهيرة

(نقلا عن كتاب)

(Weigall, Flights in to Antiquity)

ذلك على الغزوات ، فقضى عشر سنوات حتى احتـل سوريا كلها ، وامتدت حدود مصر الى مابعد الفرات أى انه تجاوز الحدود التى كانت لفتوحات تحوتمس الأول واستطاع تحوتمس الثـالث بهذه الغزوات قهر بلاد النهرين ، وكادش ، والريتينو ، وجميع الولايات الآسوية الصغـيرة الاخرى ، التى كان لها ضلع فى التمرد الأول .

والغزوات السبعة عشرة التى كابد تحوتمس الثالث فيها من المشاق والحروب ، قد ذكرت مواقعها وأسماؤها فى كشفين نقشا بالمعبد الكبير بالـكرنك (٣٤٧)

وتمت لتحوتمس الثـالث بهذه الفتوحات والانتصارات الرهبة والعظمة ، وخضعت له جميع الشعوب التى كانت تجنح لاثارة الفتن والمشـاغب ، وقويت سلطة الدولة المصرية ،وامتد نفوذها من جهات نباتا من الجنوب ،و بطائح الفرات من الشمال ، والواحات الليبيـة فى الغرب الى صحراء سورية فى الشرق ، علاوة على ثغور سوريا حتى جزائر البحر الابيض المتوسط .

واستمرت الشعوب بعد ذلك على تبادل الصلات ، وتحسـين العلاقات مع مصر وارسال الهدايا التى كان الفراعنة والمصريون يفرضونها كجزية على كل بلاد احتلوها وأخضعوها لنفوذهم (٣٤٨)

ولما مات تحوتمس الثالث تقلد الأمر بعده ابنـه امنوفيس الثانى . وفى السنة الثانية من توليتـه أحس بتمرد ملوك سوريا (٣٤٩) ، فجرد اليهـم جيشا

---

(347) La première liste mentionne 119 villes, la seconde 248 villes, cf. Muller Asie und Europa, a, p. 144, 154, 155, 287.

(348) Moret, La Nation... m, p. 301

(349) On a prétendu que Thoutmès III aurait été le pharaon oppresseur de l'Exode — J. W. Jack, The date of the Exodus... Sur la date de l'Exode voir : Hall, The Ancient History of the... e. — Garstang Joshua, Judges... b. — Olmstead, History of Palestine and Syria, d. — Rev. Frank Knight, Nile and Jourdan, 1921, 8o, 572 pp.

لغزوهم وتأديبهم فانتصر عليهم حتى وصل الى وسط بلاد ميتانية (٣٥٠)
ولما تولى العرش تحاتمس الرابع ، بادر باستعدادات كبرى لردع عصاة النوبة ، الذين كانوا اتخذوا ناحية « الواوات » مركزاً لهم ، واستمر يحكم الدفاع فى غزوات كثيرة (٣٥١) وأبقى حدود الدولة المصرية كما كانت عليه بعد ما قهر الامراء السوريين المتمردين (٣٥٢)

ولما علم تحوتمس الرابع بتأهب الحيثيين لمناوأته بناء على قوتهم وكثرة استعدادهم احتاط لدفاعهم وصد عدوانهم ، فعقد تحالفا مع ملك ميتانيـة الذى مر ذكر عدوانه القديم مع الفراعنة. واعتبر هذا الحادث بداية للمحالفات السياسية المصرية.

أمنوفيس الثالث وظهور السياسة الدولية — ولما آل الملك الى أمنوفيس الثالث صادفته تلك الصعوبات من عصيان بعض أقاليم النوبة (٣٥٣) فتأهب لمقاومتهم ، كما اهتم بتأديب بعض العصاة فى بلاد آسيا ولم توجد نصوص قطعية يعول عليها بخصوص استبقاء الحدود المصرية على ما كانت عليه فى عهد تحوتمس الثالث .

---

(350) Sur les campagnes d'Aménophis III, voir : Stèle de granit rose de Karnak découverte par Champollion : Breasted, A. R,. II, s.s 783-790. — Maspero, Mythologie p, IV, p. 197. — Stèle d'Amada, Lepsius, Denkmaler, III, 65a. —Stèle d'Eléphantine, Breasted, A. R., II, s.s 791. — Fragment d'une chapelle de karnak : Legrain, Ann· Ant. V, 34, 35; Breasted, ibib·, s.s. 798 A.

(351) voir l'inscription gravée dans le roc à Konosso près de Philae, Breasted A. R. II, s.s 823.

(352)Maspero, dans l'ouvrage de Davis, The tomb of Thoutmosis IV, a, XIX-XXIV. — Breasted, A. R. II, s.s 816-822.

(353) Stèle taillée dans le roc sur la route d'Assouan à Philae et publiée par de Morgan, Catalogue des Monuments... 1, 4. — Stèle de Konosso, Lepsius, Denk, III, 82, a. —Inscription de Bubastis, Naville, Bubastis, xxxiv, A, Breasted, A. R. II, s.s 846— Inscription de Semneh, stèle du British Museum, Birch, Archaeologia, XXIV, p. 388.

وفى عهد الملك أمنوفيس الثالث (٣٥٤) ابتكرت خطة إيقاف الحروب والتعويل على الخطط الرسمية السياسية بين الحكومات الاولى فى التاريخ لظهور السياسة الدولية والمدنية الشرقية المختلفة ، واعتادت الدول بعد ذلك الاتحاد والتداخل بين بعضها لحسم المنازعات سلميا (٣٥٥)

أمنوفيس الرابع وضياع الدولة المصرية — تولى آمنوفيس الرابع أول الفراعنة المسالمين فأظهر الميل لتأسيس دولة عالمية لاتستلزم استعمال القوة لأخضاع الغير ، بل تتخذ الوسائل السلمية تدريجيا حتى تبلغ الدولة بذاتها حد الكمال اللائق بها بين الشعوب (٣٥٦)

وهذه الفكرة قوبلت بالمعارضة فى مصر ، وكان من ضمن المعترضين عليها كهنة أمون الاقوياء ، ثم مات هذا الملك الحديث السن ولم يعقب ذكراً يخلفه فى الملك ، وبهذا حبطت أعماله وترتيباته التى قرر الشروع فيها . وعلمت بهذا الانقلاب الداخلى فى البلاد الحكومات السورية ، فانتهزت الفرصة للتخلص من سلطة الفراعنة .

وبالاجمال نقول إن الاسرة ١٨ لم تنته حكومتها حتى زالت بزوالها الدولة المصرية من آسيا ولم ترجع لها حدودها التى كان وضعها تحوتمس الثالث .

أسباب سياسة هذه الفتوحات — وكانت مصر بسيادتها على الولايات الآسوية تجمع ثروة طائلة باسم جزية ورسوم التبادل التجارى ، واستجلاب الاصناف

---

(354) Voir les documents suivants . Stèle de la victoire découverte par M. Petrie à Thèbes. Breasted, A. R. II, s.s 856 s.— Scarabée publié par M. Fraser, Proc. Soc. Bibl. Arch. Pl. III, p. 155.- Décoration des colonnes de Soleb. Lepsius, Denkmaler, III, 88. Breasted A. R. II, s.s 859.

(355) Morel, La Nation... m, p. 318

(359) Voir infra,

التى لم تكن بمصر . وكانت مصر بعزيمة الفراعنة تعد هذه الثروة لنفقات الجيوش والتشجيعات الحربية ، وكل ما يلزم لاخضاع الشعوب الاخرى . فرغبة مصر فى الاستيلاء على تلك الاقاليم كانت لاجل هذه الفوائد ، لا طمعا فى المجد ، ولا حبا فى الاستبداد . وكان الاساس الأول لاهتمام مصر بالحروب والغزوات فى بلاد آسيا ، هو الرغبة فى صد الرعاة الذين أثاروا غضب المصريين واستلزم تذمرهم حينما بدؤهم بالتمرد والعصيان .

وقبل إغارة الرعاة على مصر وحوادث طردهم منها ، كانت بلاد « بين النهرين » ، تفصل بمواقعها حيثيي الاناتولى وكاليكيا ، وساميي أشور وكلدى والساميين الامور يين والكنعانيين (٣٥٧) . ولما طغى طوفان الحروب بين هذه العناصر المختلفة ، بادرت مملكة ميتانية إلى العمل على الاستفادة من هذه الفوضى فنجحت مساعيها وأصبحت بفضل من التحقوا بها دولة قوية ، واستطاعت قطع الصلة بين مصر من جهة ، وبين آسيا الصغرى وبابل من جهة أخرى .

فاحتلال الجنود المصريين لتلك البلاد المذكورة الشهيرة بالهلال الخصب (٣٥٨) حتم على مصر التيقظ للدفاع والخوض فى ميادين الحرب (٣٥٩)

(357) Moret, Des clans aux... k, p. 306.

(٣٥٨) يعنى برستد بهذه التسمية الوديان الخصبة للاردن واورونت وخابور والدجلة والفرات (Cf. Breasted, Ancient Times a history...h p.101)

(٣٥٩) مبدأ الاحتياط فى المحافظة على حدود مصر من المهاجمات الطارئة وصيانة طرق الوصول اليها لمنع اجتياز الغير لها ، هو مبدأ حرب قويم عمل به البطالسة والصليبيون ، وبونابرت ، ومحمد على ، واقتدى بهم فيه القائد آلنبي فى الحرب العالمية الأخيرة وبذلك استطاعوا صيانة مصر من التعديات الاجنبية عليها .



الفصل الثاني
حكومة مصر في ولايات سوريا وفلسطين ونظام حمايتها



سوريا فلسطين وموانيها ومدنها — البلاد السورية سخرتها الاقدار لان ترزخ تحت حكم الاجنبي ، فحكمتها بلاد كلدى ، ومصر ، وأشور ، والعجم ، ومقدونية ، والآن هي تحت حكم الدول الغربية (٣٦٠)

كانت العلاقات بين مصر وسوريا الفلسطينية قديمــا تجارية محضة ، لأن مصر تستورد منها البضائع التي لا توجد فيها ، ولا سيما الخشب (٣٦١) والغابات المصرية التي كانت بها قديما زالت آثارها

وكان للبلاد السورية موانى هامة قبــل الأسرة ١٨ للمواصلات البحرية

....

(360) Maspero, Histoire Ancienne... q, II, p. 4.

(٣٦١) وقد جاء ذكر هذا الخشب في حجر بالرم الشهير وهو يعتبر أقدم أثر تاريخي في العالم (الاسرة الخامسة) Voir l' édition de M. H. Schaeffer

التجارية ، كغزة ، ويافا ، وصور ، وصيدا ، ورأس شمرا . (٣٦٢) وأهمها ببلوس (٣٦٣)

وأهم المدن الداخلية للقطر السورى هى شاروهانا وهبرون ، وتونب ، و بيت شمش (٣٦٤) و بيت فلت (٣٦٥) و بيت شان (٣٦٦) وأهمها مدينة مجيدو . وفى جميعها كانت تستوطن شعوب كثيرة العدد بينهم التجار الرحالة الذين كانوا يحضرون إلى أسواقها بمحاصيل متنوعة من بلاد بابل (٣٦٧)

وفى عهد وجود الحكومة المصرية بتلك البلاد ، لم نجدها أحدثت تغييراً فى أسماء البلاد ؛ ولا خلدت شيئا من أسماء الحكام الذين كانوا ذوى سلطة فى حكمها .

الملوك الصغار والخزانى — وكان من مبدأ فرعون الاحتفاظ بالنظام السياسى فى تلك البلاد ، ولذلك أقر للملوك الصغار سلطتهم التى كانوا عليها ، كما أقر بعض المعروفين « بالخزانى » أو رؤساء المدينة الممثلين للعائلات القديمة على ما كان لهم من النفوذ القومى (٣٦٨) وفى بعض المدن الاخرى كان ينوب عن هؤلاء مجلس من الأعيان .

تمصر الادارات الوطنية — وكان فرعون شديد الحرص فى اقتداء حكام تلك

---

(٣٦٢) والحفائر الحديثة التى أجراها (M. M. Schaeffer et Chenet) تؤيد أن رأس شمرا (يجاريث القديمة او زابونا) كانت فى بدء القرن العشرين ق . م . مركزا هاما لمرور البضائع الآسوية القبرصية والمكينية

(Cf Dussaud, Les fouilles... de Cf. Syria, 1932 p. 1-27)

(363) Montet, Byblos et l'Egypte, a et b.

(364) Grant, Beth Shemesh, A. E. 1929, p. 83.

(365) Petrie, Beth Phelet, A. E. 1928, p. 34.

(366) Rowe, Beth Shan, A. E. 1929. p. 62, Rapport sur les fouilles... b., Comparison of... c.

(367) Breasted, Ancient Times. A history of... h, p. 103.

(368) Moret, Au temps... i, p. 60 s.

الجهات بالوطنيين المصريين ، وعاداتهم ، ولذا كان تحوتمس الثالث يستحضر الى مصر أفراداً ينتقيهم من أبناء عظماء تلك البلاد لتربيتهم التربية المصرية ليصيروا ذوى صلاحية حين يعودون إلى بلادهم لتقلد أحكامها طبقا لرغائبه . (٣٦٩)

ومن أتموا التمرين والتعليم فى مصر من أولئك الأبناء ، يتخذهم فرعون كنواة لوظائف « خزانى » والملوك الصغار « للخارو واللوتانو » (٣٧٠)

ولمثل هذا المبدأ كان قياصرة الرومان يعتنون بتربية أبناء الجرمانيين العظماء على النظام الرومانى . والدول الحديثة الاستعمار للبلاد يفعلون مثل ذلك بأبناء العائلات الكبيرة فى الهند وأفريقيا (٣٧١)

وكان هؤلاء الافراد حين تقلدهم الوظائف الادارية الوطنية يساعدون الخزانة المصرية فى تحصيل أموالها المقررة ، و يحافظون على واردات الموانى السورية .

وكان فرعون يصرح لهم بعرض المسائل بمكاتبات اليه مباشرة واعتادوا فى ختامها تدوين عبارات كلها عبودية (٣٧٢) وخضوع كقولهم « أنا خادم فرعون وكاتب منزله ومحافظ على بلدة كذا للملك مولاى » . (٣٧٣)

الرسل الفرعونية أو الرابيزو — وكان فرعون يحتاط فى تذليل الصعوبات ومنع كل مالا يرضيه من تصرفات هؤلاء الموظفين المنتدبين فى تلك البلاد ، و ينتقى لمراقبتهم بعض الرجال الموثوق بهم (الرابيزو) (٣٧٤) لتفقد تصرفاتهم

(369) Sethe, Urkunden, IV, 690. - Breasted, A. R. II, s.s 467—84. Inscription du couronnement de Thoutmès III. Mariette, Karnak 14-16. Breasted A. R. II. s.s 131 s. ، Stèle de granit noir du temple de Meneptah : Petrie, Six temples... Pl. XI, XII, Breasted, A. R. II, s.s 885

(370) Moret Des clans... k. p. 327

(371) Annales de Thoutmès III (8e campagne). Breasted A. R. II, s.s 483

(372) Voir Breasted, A history of Egypt... j, fig. 147

(373) Moret ibid. p. 329

(374) C'est ainsi que Thoutii est appelé (délégué du roi en tout pays étranger... (préposé aux contrées étrangères,) Birch,

الادارية . وهؤلاء المراقبون لم يقتصروا على حدود الرقابة الادارية فقط ، بل حولوا همتهم إلى تصرفات قضائية نحو تلك الحكومات السورية الصغيرة حتى لاتعود إلى التمرد أو المشاغبة ، وكان هؤلاء المراقبون يدعون فى العرف « بافواه وأعين وآذان فرعون » (٣٧٦)

وكان فرعون يتفقد بشخصه كل النقط الحربية ويقرر لكل موقع العدد الكافى من الجيش المصرى لتأمين المواصلات وحفظ الامن . والولايات السورية تؤدى من حسابها نفقات هذا الجيش ، لأن الجيوش الوطنية لتلك البلاد لم تكن لها الرهبة الكافية للقيام بأعمالها . وكان ولاة الأمور يستمدون من فرعون هذه المعونة العسكرية ، كما تدل عليه خطابات منهم فى هذا المعنى وجدت بتل العمارنة

وحكام سورية الصغيرة ، كان كل منهم يحتفظ لذاته بالاستقلال عن الآخر ، والمنافسات الداخلية التى لابد منها بين أمثالهم وبين من كانوا بوظائف « الخزانى » فتجنبا للحروب والمشاغبات وفراراً من الفوضى ، كانوا يلجأون إلى فرعون كحكم بينهم فيتلقى استنجادهم به بالارتياح ويتخذه مساعداً فى ازدياد نفوذه وسلطته عليهم .

والسلطة المصرية فى الولايات الآسوية التى احتلها لم تكن تعاملهم باستبداد المنتصر على المغلوب ، بل كانت تتكفل بحمايتهم من أى تسلط أجنبى ، وتكفل حقوقهم الفردية بحماية مطلقة . وهذا الاعتدال من فرعون وحكومته (٣٧٧) هو أول ما سمع به التاريخ عن مثله فى بلاد خاضعة للاستعمار

Mémoire sur une patère...cité par Virey Tombeau de Rekhmara b, p. 9-10

(376) Sethe, Urkunden IV. p. 399 s. et supra No. 78

(377) Cf, Delattre Le pays de Canaan... m, — Hogarth Egyptian Empire in Asia...



الفصل الثالث

المصريون في بلاد النوبة وسينا وبلاد بونت



بلاد النوبة

النوبة (كوش) ــ كان من نتائج الخصومات التى طال أمدها أكثر من قرنين فى أواخر الدولة القديمة (٣٧٨) أن اضمحل نفوذ مصر كثيراً فى داخليتها، وزالت هيبتها من نفوس الشعوب المجاورة، حتى اجترأت بلاد النوبة، واتخذت من هذا الاضمحلال سلاحا استولت به على جزء من بلاد الوجه القبلى

ولما تقلدت الاسرة ١٢ الحكم فى البلاد ، وجهت عنايتها لغرس الطمأنينة فى الرعية وأعدت مهماتها الحربية وأغارت على من اجترأوا على شق عصى الطاعة فى عهود أسلافها فتمكنت من اخضاعهم ، واسترجعت ما أخذ من حدودها وتوغلت إلى ما ورائها ، وجعلت بلاد النوبة ولاية مصرية

واعتنى ملوك الأسرة ١٢ « سنوسرت وامنمحعت » بتأمين الحدود من الأعتداء عليها ومهاجمتها، فأقاموا صفا من الاستحكامات المحصنة فى نحو أربعة

(378) Voir supra p. 27

عشر مدينة ، كسمنح وبوهن ، وكومح وكوبان. وإقامة حراس ومدافعين فيها لمنع اى اعتداء أو تقدم من الأعداء نحو الوديان الموصلة إلى بلاد معادن الذهب

وجاءت ظروف الغيب بنجاح المساعى فى اتحاد النوبيين مع الهكسوس ، وانضموا إليهم أثناء اشتباك المصريين فى الغزوات حتى بلاد النوبة حين خرجوا عن طاعتها

وبعد أن تطوح الرعاة فى غزواتهم نحو آسيا ، كان من نصيبهم الفشل والهزيمة ، وجاءت دولة الأسرة ١٨ ، فقاتلت فى أوائل عهدها جميع أرباب الفتن حتى وصلت الى الجنوب (٣٧٩) وبعد غزوات كثيرة ، التحق بها الشجعان من أسلافهم ، واسترجع «تحوتمس الاول » السلطة لمصر على بلاد النوبة ، وتوسع فى امتداد حدودها حتى نابانا بقرب الشلال الرابع .

وبعد سكون الاحوال بقليل ، شعرت الحكومة بفتنة خيف شرها فى بلاد الواوات (٣٨٠) فاهتمت اهتماما كبيراً ، وضاعفت المهمات الحربية ، وأرسلت جيشا كبيراً فاستطاعت فى أقرب وقت القضاء على الثائرين وإطفاء الفتنة (٣٨١) واستمرت بلاد النوبة خاضعة لمصر وصارت جزءاً متمما لحدودها .

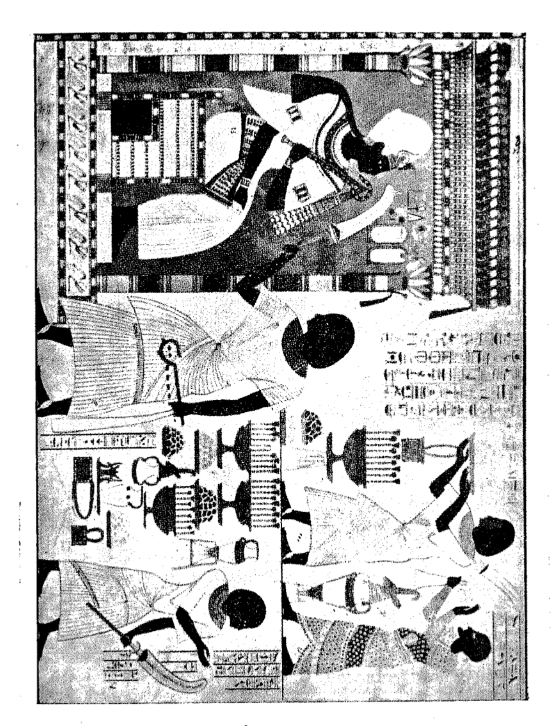
امير كوش الملكى – وكانت بلاد النوبة فى عهد امنوفيس الثانى ذات حدود متسعة من نخبت (الكاب) الى نابانا تتكون فى نظامها الداخلى من جملة مراكز ذات استقلال نوعى يحكمهم جميعا موظف مصرى ينوب عن شخص

---

(379) Voir l'inscription d' Ahmès 124 : Sethe, Urkunden IV, 1, Breasted A. R. II. s.s 6

(380) Voir l'inscription de Konosso(époque de Thoutmès IV) Breasted A. R. II. s.s 823

(381) Voir l'inscription sur la route d' Assouan à Philae (révolte sous Thoutmès II) Breasted A. R. II. s.s 119



الملك توت عنخ امون وامامه هووى أمير كوش يقدم له الهدايا

(نقلا عن كتاب)

Lepsius, Denkmaler, III,115à118

فرعون ويدعى « أمير كوش الملكى » (٣٨٢)

وكانت لهذه الوظيفة أهمية كبرى فى شؤون الادارة ، و إخضاع الشعوب . وفى عهد الملك توت عنخ أمون ، عين لها اثنان (٣٨٣) من رجال فرعون (بهذا العنوان واللقب) مراعاة للاهمية العمرانية حسب تطورات الظروف

والنقوش التاريخية الموجودة على جدران معابد النوبة ، والشواهد التذكارية المنقوشة على الصخور ، و باقى المستندات الاخرى ، تدلنا فى مجموعها على تاريخ إجمالى لاولئك الأمراء ، الذين تعاقبت أدوارهم نوابا عن الملك فى عهد الاسرة ١٨ وهم : تحورع (٣٨٤) (١٥٤٩ـ ١٥٣٧) ، سنى (١٥٣٧ـ ١٥٠١ ؟) نحى (٣٨٥) (١٥٠١ـ ١٤٥٣) سرساتت (٣٨٦) (١٤٥٣ـ ١٤٢٠) امنحوتب (١٤٢٠ـ ١٤١٠ ؟)

---

(382) Reisner, The Viceroys of Ethiopia, J. E. A., t. VI, 1920, p. 28 et p. 73.

(383) Voir la biographie de la tombe de Huy vice roi de Koush. Lepsius. Denkmaler, III, 115-118, Text III, 301-6 Breasted, A.R. II, s.s. 1019-1041.

(٣٨٤) وكان تحورع أول نائب الملك فى كوش فى عهد تحوتمس الاول وتاريخه منقوش على الجدار القبلى لمعبد تحوتمس الثالث بسمنح

Lepsius, Denkmaler III, 47 c. Breasted A. R. II s.s 61 Voir également les deux Inscriptions de l'île de Sehel Breasted, Ibid, s.s 75-76 et celle d' Assouan Breasted ibid s.s77

(385) Deux ex-votos à Buhen : Randall-Maciver et Woolley, Buhen.., p. 23 et p. 41. Inscriptions de Semneh : Foucart, Sphinx 13, 1910, p. 144, Breasted, A. R. II, s.s 651-652.

(386) Cf. Wolf article ap. Zeit. für ag. Spr. LIX, p. 157.

ومرموز (٣٨٧) (١٤١٠ ـ ١٣٧٠) وتحوت موز (١٣٧٠ ـ ١٣٥٨) وحوری (٣٨٨) (١٣٥٨ ـ ١٣٥٠)

وكان أول الواجبات على نائب الملك فى بلاد النوبة ، اعتناؤه بتوطيد الأمن ، وحفظ النظام ، ونشر الطمأنينة حتى تقوى هيبة الهيئة الحاكمة فى النفوس ، ولا تعانى صعوبة فى تحصيل الأموال ، وأنواع الايرادات المتعين تقديمها إلى خزائن الدولة ، سواء فى ذلك ما كان عن ضرائب المحاصيل ، أو رسوم الواردات كالابنوس (٣٨٩) والعاج والعسل (٣٩٠) المستحضرة من النوبة إلى مصر ، سواء كانت عن بدل مالى أو تبادل بضائع مصرية .

معادن النوبة الذهبية ـ وكان الفراعنة يجتهدون فى اجتلاب الذهب من بلاد النوبة (٣٩١) لا لمجرد حاجياتهم الداخليــة ، بل ليقوموا باداء الطلبات المستمرة من حكام آسيا ، وكانوا يجعلون لــكل كمية من الذهب قيمة محدودة فى التعامل كبدل عن قيم المستجلبات الاخرى من تلك البلاد إلى مصر

طريقة تحصين النوبة ـ وجهة كوبان التى كانت ذات معادن شهيرة (وكانت الاسرة ١٢ أقامت فى طريقها حصونا مشيدة) نالت من الأسرة ١٨ عناية واهتماما بموقعها ، رغبــة فى الحفظ لتلك المعادن الذهبية ، وحرصا على أمن الطريق فى تلك المواقع

وبقايا المبانى والآثار المحصنة المتناثرة فى السبل الموصلة لأغلب المدن بين الشلال الأول والرابع من أكبر البراهين التاريخية . وتنبئ عن عظمة ملكية

(387) Inscription de Semneh (stèle du British Museum) : Birch, Archaeologia, XXXIV, p. 388 : Breasted, A. R. II, s.s 851

(388) Voir supra note 383.

(389) Loret, L'ébène chez les Egyptiens, R. T. 6, p. 125.

(390) Lefebure. L'abeille en Egypte... a; Mackay, On the use of Beeswax... a.

(391) Voir supra p. 90.

بقايا المبانى العسكرية (٣٩٢) التى اقامتها الحكومة تعزيزاً لسطوتها فى تلك البلاد ، وتبين أيضا أهمية بلاد النوبة عند المصريين ، لا من الوجهة التجارية فقط ، بل من الوجهة الحربية أيضا .

والوسائل الدفاعية التى كانت مقامة فى تلك الأرجاء تعد باحكام أوضاعها ومناعة دعائمها ، وتعدد نظاماتها العسكرية ، كافية لصد أى هجوم أو اعتداء ، وقمع أى ثورة أهلية ، ولكن الحكومة الفرعونية كانت لا تتوانى عن تجديد الاستحكامات والتعزيزات العسكرية رغبة فى إرهاب من تحدثهم نفوسهم بالعدوان أو التمرد . وبالاجمال فأن بلاد النوبة كانت فى عهد الاسرة ١٨ فى ترف ورخاء ، لم تذق مثلهما فى أزمنة سابقة ، وتنطق بذلك بقايا الآثار التى بين أيدينا (٣٩٣)

معادن سينا النحاسية — بلاد سينا — وظهور معادن الذهب فى النوبة والنحاس فى سينا جعل الحكومة الفرعونية توجه عناية خاصة لهذين الأقليمين حرصا على موارد الثروة منهما .

والملوك الطينيون الأولون هم أول حكومة عرفت فى بلاد سينا منذ احتلوها ، بناء على احتياجاتهم لمعادنها النحاسية منذ ٥٣٠٠ سنة ، واستولوا على الحجر الطويل استرسالا فى ما تدعو إليه الحروب الاقتصادية المضادة لنظام المدنية الحقيقية (٣٩٤)

---

(392) Ainsi à El Kab, Bouhen, Semneh, Jkoumeh, Soleb Tombos.

(393) Sur les fouilles en Nubie, voir : Breasted, The monuments of Sudanese Nubia (1906-7) ; Reisner, Rapport sur les fouilles de Kerma, ap. Bulletin du Musée de Boston, déc. 1915 ; Rapport sur les fouilles de Napata (1915-1916) ap. dans le même bulletin, juin 1917. Rapport sur les fouilles de Semna, A. E. 1929 p. 89. — Griffith, The Oxford Excavations in Nubia, ap. An. of Arch. and Anthr. VIII-X, Liverpool, 1921-3. — Dunbar, Compte rendu des fouilles de Sarra, A. E. 1932, p. 14.

(394) Moret, Des clans... k, p. 204.

وقد جعلوا لتلك المعادن النحاسية أهمية كبرى ، وتقلبت عليها أدوار كثيرة في سبيل الاقتصاد القديم (٣٩٥) وهذه المعادن في ذاتها لم تكن ذات ثروة تعادل درجة الاهتمام بها (٣٩٦) ولكن الذي جعل لها الاهتمام لهذا الحد كونها إحدى أماكن العالم التي اشتهرت بصناعة إخراج النحاس وتنقية معدنه (٣٩٧)

وتدلنا النقوش الموجودة في صخور الجهة المعدنية بجهات وادي مغارة ، وسربوت الخادم (سرابيت) على أن الاحتلال المصري لسينا ، استمر من الاسرة الأولى الى الأسرة ١٩ وتثبت أيضا أنه في عهد الأسرة ١٨ كانت المواقع الشهيرة بشبه جزيرة سينا تابعة للسلطة المصرية أيضا (٣٩٨)

استغلال الحكومة المصرية لمعادن سينا النحاسية — وكان الفراعنة يختصون أنفسهم باستغلال تلك المعادن ، ولذا أوجدوا فيها كثيراً من الموظفين (٣٩٩) لدقة العمل وأملا في كثرة الفائدة ، وانتشار الصناعة المصرية انتشارا كبيراً في عهد الاسرة ١٨ نقص من أهمية معادن سينا النحاسية ، واستمرت مصر تستجلب أكثر حاجياتها النحاسية من جزيرة قبرص (٤٠٠)

بلاد بونت أو سلم البخور — كانت بلاد بونت التي كثر ذكرها في النصوص المصرية ومعترف بأهميتها ، يدعونها (سلم البخور) وموقعها قبلي البحر الاحمر إلى شواطىء الصومال والحبشة وربما كانت تحادد بلاد اليمن

(395) Berthelot, Compte rendu de l'Académie des Sciences, août 1896.

(396) Morgan, L'humanité préhistorique, Paris 1921, p. 123

(397) Moret, Des clans... k, p. 202. En sens contraire : Morgan, De l'importance supposée.. a,p. 283. C'est toute la question des origines de la civilisation de l'Egypte qui sépare ces savants auteurs

(398) Petrie, Researches in Sinaï, 1906. — Weill, Recueil des inscriptions égyptiennes du Sinaï — Gardiner et Peet, Inscriptions of Sinaï — Lina Eckenstein, Moon cult in Sinaï, a. The God Spot..

(399) M. Petrie ne distingue pas moins de 25 grades dans la hiérarchie des fonctionnaires égyptiens affectés à l'exploitation des mines du Sinaï. — Petrie, Researches in Sinaï..., p. 110.

(400) Voir supra, p. 91, n. 192.

واعتبر المصريون تلك البلدة نوعا من الفردوس الأرضى ، اذ كانت تورد قبل الأسرة ١٨ الذهب والعاج والعطريات من جميع أنواعها ولا سيما (الانى) الذى كانوا يستنفذون منه كميات وافرة لخدمة العبادات الجنازية والدينية

وتجارة بلاد بونت لم تكن فى حوزة الافراد ، بل كانت فى قبضة الحكومة الفرعونية و وفودها ، الذين كانت تنتدبهم للسفر إليها بجرأة. واعتاد فرعون استئجار أسطول ليسافر من احدى نقط البحر الاحمر ، حاملا البضائع المصرية المتنوعة إلى بعض شواطىء بونت لاستبدالها ببعض بضائع تلك البلاد . ومتى عاد بها الأسطول أذاع أنها جزية ، واستدل بها على الخضوع لسلطته ، والحقيقة أنهم لم يخضعوا للمصريين . (٤٠١)

بعثة الملكة حتشبسوت الى بلاد بونت - وأكبر بعثة فى بلاد بونت هى التى أرسلتها الملكة حتشبسوت فى عهد الأسرة ١٨ ، انقياداً لارشادات وحى أمون فى السنة التاسعة من حكمها . وقد نوه عنها فى نقوش الدير البحرى (٤٠٢) ولم نتحصل على معلومات غيرها بشأن تلك البلاد (٤٠٣)

وقد عثرنا على شاهد فى سينا ، يرجع تاريخه إلى السنة ٢٦ من حكم الملك أمنوفيس الثالث ، يتضمن انتداب موظف مصرى اسمه (بنحاسى) للتجول فى شواطىء البحر الاحمر ، وجمع البضائع العجيبة من بلاد بونت ، واستحضار روائح عطرية ، وهى كجزية عن تلك البلاد المسماة بالبلاد المجهولة (٤٠٤)

وصفة هذا الموظف (٤٠٥) تدلنا على ما كان من الاهمية فى نهاية الاسرة ١٨ لمحاصيل تلك البلاد واستئثار فرعون بها .

---

(401) Jequier, Matériaux pour servir... p. 142 s.

(402) Erman, Life in Ancient Egypt, 505 ss. — Maspero, Histoire Ancienne, II, 247-253. — Naville, Deir el Bahari III, 72, 73, Pl. LXIX et s. — Breasted, A. R. II, s s 246 s.

(403) Maspero, Les Egyptiens sur la mer d'Erythrée...

(404) Gardiner et Peet, Inscriptions of Sinaï, I, Pl. LXVI.

(405) Leeds, Alabaster vases of the new kingdom... — Davies The Rocktombs... b.



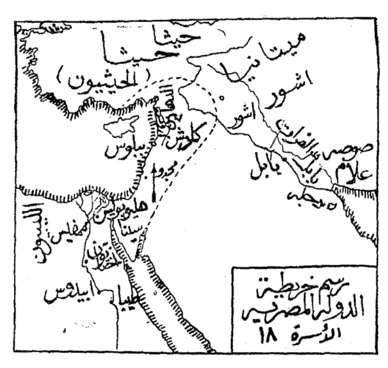
والسياسة السلمية معها

ومن أسوأ التطورات الطبيعيـة أن يكون استيلاء الهكسوس على مصر « والكاسيت » على بابل أحدث فيهما ضعفا وقتيا ، ولـكنه أدى للانتعاش فى الحياة السياسية المدنية فى ممالك آسيا (٤٠٦)

وفى أوائل ظهور الأسرة ١٨ كان أربعة من عظماء الملوك يحرصون لذواتهم على العظمـة والشرف فى الشرق الأدنى وهم : ملوك بابل وأشور وميتانيـة والحيثيين ، وكانت للفراعنة بهم صـلات وعلاقات ظهرت فى مراسلات العمارنة (٤٠٧) الناطقة بوجود لغة دولية سياسية قديمة تقليدية ،ولم يحصل فى ألفاظها تغيير ، بل بقى استعمالها فى وزارة الحقانية الحالية بفرنسا (٤٠٨)

---

(406) Rostovtzeff, History of the world... I, p. 65.
(407) Olmstead, Near East Problems... a.
(408) Moret, Des clans... k, p. 332.



سياسة الفراعنة مع ممالك آسيا — صلح وسلم وتبادل تجارى — والصلات السياسية المذكورة ، كانت سياسة صلح وسلم ، والتبادل التجارى ساعد على حفظ الصداقة بين مصر وملوك آسيا الكبرى ، وجاءت بعدها معاهدات رسمية مكنت العلاقات الودية بين الفراعنة والبعض من تلك الممالك ، ثم أعقبها تزوج الفراعنة بأميرات بابل وميتانية (٤٠٩) وهذا أول حادث من نوعه حمل على التغيير فى التقاليد المصرية الفرعونية

وقد استفاد الفراعنة من المنافسات التى كانت بين الحكومات الآسوية كبابل وأشور كما تقدم القول

ولما ابتدأ تحوتمس الثالث غزوته الأولى فى آسيا فقد جزءاً من الممتلكات المصرية الآسوية بتأثير خفى لمملكة الحيثيين التى استفادت بهذه الظروف قوة وظهوراً . وفى ذلك الوقت ابتدأت مصر علاقات دولية مع بابل وأشور والحيثيين .

سياسة المعاهدات — وقد ذكر تحوتمس الثالث فى أخباره قبول الجزية

---

(409) Delattre, Mariages princiers en Egypte... k.

من اشور بعد غزوته الثانية ويظهر أنها كانت هدايا أرسلها فجأة إليه ملك أشور ، عملا بالاتفاق الاخير مع مصر . وفى ذلك الوقت كان اتفاق الحيثيين والبابليين ضد مصر وأشور

وفى عهد أمنوفيس الثانى ، كانت ميتانية تجهل صلته مع بعض ممالك آسيا (٤١٠) فاتفقت معه ضد أشور ، وبذلك تم لفرعون الاستيلاء على الأشوريين بمساعدة ملك ميتانية (٤١١)

زواج الامراء المصريين ببنات ملوك آسيا ـ وكان من نتائج ذلك أن تزوج أمنوفيس الرابع « ارناتامة » ابنة ملك ميتانية (٤١٢) فصارت لمصر علاقات ودية مع بابل (٤١٣)

وبعد أن تزوج أمنوفيس الثالث أميرة بابلية تزوج أيضا أميرة ميتانية ، وهى ابنة عم الاميرة الأولى (٤١٤)

وكانت علاقة فرعون مع ملك أشور غاية فى المصافاة والمجاملة ، لأنه كان يورد له الذهب (٤١٥) ومع هذا فأن ابن عمه « الميتانى » لم يمتنع من سلب نينوى ، وانتهاك حرمة تمثال اشتار (٤١٦)

نفوذ مصر فى بلاد آسيا فى عهد أمنوفيس الثالث ـ وفى ذلك الوقت كان أمنوفيس الثالث مسيطراً على بلاد سوريا وكان ملك بابل لا يفتر عن مطالبته بالذهب (٤١٧) وملك الاسيا يرجوه أن لا يتحالف مع الحيثيين (٤١٨) فكان فرعون من كل هذه النواحى ذا نفوذ فائق فى العالم الشرقى يتمتع بسلطة مطلقة

(410) Breasted, A. R. II. s.s 317.
(411) Keilschriftexte aus Boghazkoï, I, 1.
(412) Lettre de Tell el Amarna, Knudtzon. No. 29.
(413) Lettre, ibid., No. 16.
(414) Breasted, A. R. II, 347 et lettre ibid, No. 4.
(415) Lettre de Tell el Amarna, Knudtzon, No. 16
(416) Lettres .. ibid., Knudtzon, No. 23.
(417) Lettres... ibid., Knudtzon, No. 1 et 2,
(418) Lettre... ibid., Knudtzon, No. 35.

واذا وثقنا بخطابين نسب صدورهما من ملك الحيثيين ، إلى أمنوفيس الثالث (٤١٩) نجد أن هذا الأخير عقد معاهدة مع مليكهم،وهذا من الغرابة بمكان للمنافسات التى كانت موجودة بين ملك الحيثيين وملك ميتانية حليف فرعون ، ولكن تقلبات السياسة تجيز فى عرف ذويها جميع المحظورات وتناسى الظروف الماضية

وقد تحاربت مملكة ميتانية والحيثيون الذين تم لهم النصر عليها فى نهاية الامر

وعقب أن تزوج أمنوفيس الرابع بأميرة ميتانية (٤٢٠) وتولى العرش،أرسل له ملك الحيثيين (٤٢١) يهنئه بهذا الزواج . ولعدم تقدير فرعون لهذه التهنئة وإجابته بالشكر عليها كمقتضيات التعاليم الدولية ، استاء ملك الحيثيين من هذا الشذوذ فحارب سوريا ، واستولى عليها كانتقام لذلك ، وهذا الحادث تردد صداه خطابات وجدت بتل العارنة وتؤكده العبارات التى كررها بشأنه أمير أمورى فى خطاباته المملوءة تأثرا . (٤٢٢)

وفى خلال ذلك تخلى الاشوريون عن علاقاتهم مع ميتانية ، وتعاقدوا مع أمنوفيس الرابع بصفتهما كانداد (٤٢٣) متكافئين، ولكن ملك بابل لم يستحسن هذا التعاقد لزعمه فى نفسه أنه له حق الولاية على أشور (٤٢٤)

والظاهر أن ملوك آسيا فى زمن الأسرة ١٨ كانوا مشغولين بصوالحهم المادية ، ولذلك كانت تخدعهم الدسائس ، ولم يعبأوا بالاتفاقات التى عقدت بينهم

واستقل فرعون بظهوره فوق الجميع ، لأنه لم يكتف باعتبارهم إياه حكما للفصل فيما شجر بينهم ، بل انه أقام نفسه موزعا للثروة ، مترفعا عن تزويج الاميرات

(419) Lettres... ibid., Knudtzon, No. 41 et 42.

(420) Lettre... ibid., Kundtzon, No. 29.

(421) Lettre.. ibid., Knudtzon, No 41.

(422) Lettres de Tell el Amarna, Winckler, No. 31 à 40.

(423) Lettres... Knudtzon, No. 16.

(424) Lettres... Knudtzon, No. 9.

المصريات (٤٢٥) بخلفائه من ملوك آسيا ، مع استمراره فى إرساله الذهب لخلفائه الذين كانوا يلحون عليه فى شأنه ، و يطلبون أن يكون ما يرسله هو عشرة أضعاف ما كان يرسله أسلافه . وكل هذه الاعتبارات كان إليها المرجع فى عظمة نفوذ فرعون خصوصا وأن مكاتبات هؤلاء الملوك كانت كلها تزيده اعتقاداً فيما يظنه لنفسه من عظمة الشأن و إطلاق السلطة (٤٢٦)

(425) Voir la lettre de Bournabouryash roi de Babylone, reprochant au roi d'Egypte de lui refuser en mariage une princesse égyptienne, winckler, No. 3.

(426) Morel, La Nation... m, p. 311.





كانت لمصر علاقات بالعالم الآجى (٤٢٧) قبل الاسرة ١٨ استدل عليها ببعض نقوش على أوان خزفية فى آثار كاهون يرجع تاريخها إلى الاسرة ١٢ (٤٢٨) ووجدت أيضا رسوم على جدران فى عهد الدولة القديمة المصرية تنبئ بمجيئ بعض التجار الميكيين إلى مصر (٤٢٩)

الكفتيو أو الكريتيون — وكان العلماء المصريون يعبرون عن كل سكان بحر آجى بالشعوب البعيدة . وفى عهد الأسرة ١٨ ابتدأوا يميزون بين الكفتيو أو الكريتيين وسكان الآسيا (قبرص) والمكينيين

(427) Cf. Dussaud, Les civilisations préhelléniques... b, p. 282 s. - Hall, The ancient history of the... c, p. 291 s. — Hall, The relations of Aegean... f.

(428) Petrie, Illahun, Kahun et Gurob, 1891. — Hall, Aegean archaeology, g.

(429) Max Muller, Neue Darstellungen « mykenischer » Gesandter und phonizischer Schiffe in altagyptischen Wangemalden Berlin 1904.

واستطاعت شعوب كفتيو (الكريتيون) (٤٣٠) أن تكون لهم السيادة بأسطولهم فى البحر الأبيض المتوسط . ولم يقنعوا بالحصول على المواد الأولى التى كانوا يحتاجونها من تلك البلاد ، بل بدأوا فى ترويج محاصيلهم وصناعاتهم وفنونهم حتى صاروا كمتعهدين للشعوب المتمدنة ، والأقوام البربرية ، بتوريدما يحتاجون ، وكانوا ينقلون لمصر أخشاب لبنان وسبائك الاسيا ، وإلى أرجوليد أوانى خزفية مصرية والعاج ، وروجوا نحاس قبرص حتى سردينيا ونشروا قصدير أسبانيا فى متاجر كل البلاد

وكانوا كلما عثروا على قطعة من البرنز أو من الخزف ذات تاريخ يرجع إلى ما قبل القرن الرابع عشر ويظنونها واردة من الشرق ، يعتقدون أنها من بقايا ما كان فى حوزة الكريتيين . (٤٣١)

فكانت كريت فى السابق ذات سيادة أولية على البحار فى العالم .

وكانت تستفيد من انتشار تجارتها البحرية فوائد كبرى ، تدل عليها آثارها فى أكبر مدائنها ، وخصوصا فى جنوس (٤٣٢)

المكينيون — وكان للكريتيين (٤٣٣) سلطة ونفوذ على الاكيين فى بلاد اليونان (٤٣٤) فكانوا يضربون عليهم الجزية ويجمعونها منهم . ولكن المكينيون تعبوا من هذه السلطة فتخلصوا منهم فزاحموا تجارة كريت البحرية . ورأى

---

(430) Sur les Keftiou, cf. : Hall, Keftiu and the... b. The discoveries in Crete... c. The people of the sea... i.—Wainwright Keftiu people a. Keftiu... c.—Fimmen et Reisingen, Die kretisch mykenische Kultur, Leipzig 1921.

(431) Glotz, La civilisation égéenne..., p. 261.

(432) Evans, The Palace of Minos at Knossos.

(433) Cf. Glotz, La civilisation égéenne..., p. 60-67.

(434) Sur les rapports entre les Achéens et les Crétois dans l'histoire de la Grèce primitive, voir la très intéressante étude de M. Clark Hopkins, The early history of Greece, ap. Yale Classical Studies, Vol. II, p. 117-183.

الفراعنــة أن من مصلحتهم التنحى عن الكفتيو ليستميلوا الشعوب الأخرى .
وكان الملوك المكينيون أخذوا من مصر بعض المصنوعات القاصرة على الزجاج والصينى المنقوش عليها اسم أمنوفيس الثانى وأمنوفيس الثالث وبعثوا بدلا عنها بعض الأوانى المزخرفة الجميلة ،وتبادل هذه الهدايا يشير إلى حادث هام هو تلاشى السلطة من بلاد جنوس (٤٣٥)

ومن الغريب أن فى عهد أمنوفيس الثالث لا نرى ذكرى لكريت حتى كأنها محيت من الوجود ، ولم تسبق هذا العهد حوادث تنبئ باضمحلالها عقب معارك حربية ، أو حوادث زلزلة ! وقد يكون للتقلب السياسى فى ما كانت عليه من العظمة وصارت كشعب تلاشى فى ثنايا مظاهر جيرانه (٤٣٦)

واستمرت قبرص ذات مركز واحترام بين المصريين والميكيين (٤٣٧)

مملكة الاسيا ــ واختصت مملكة الاسيا بمعادن قبرص النحاسية

ولم يستغن المصريون عن نحاس قبرص فى صناعاتهم المتنوعة و بالأخص ما يتعلق بالقبور الطيبية ، وكان صناعه ، ينقلونه إليها بشكل « حوت سليمان » الذى يوجد منه الآن أنواع كثيرة فى قبرص (٤٣٨)

وكانت لفرعون مع ملوك آسيا صلات حسنة تشهد بها مكاتباتهم اليه ، وكان فرعون يتهم باللصوصية بعض أتباعهم ، ولكن ملكهم أطنب فى براءته وحسن نية شعبه وكرر خضوعه واحترامه لفرعون (٤٣٩)

(435) Glotz, ibid., p. 62.

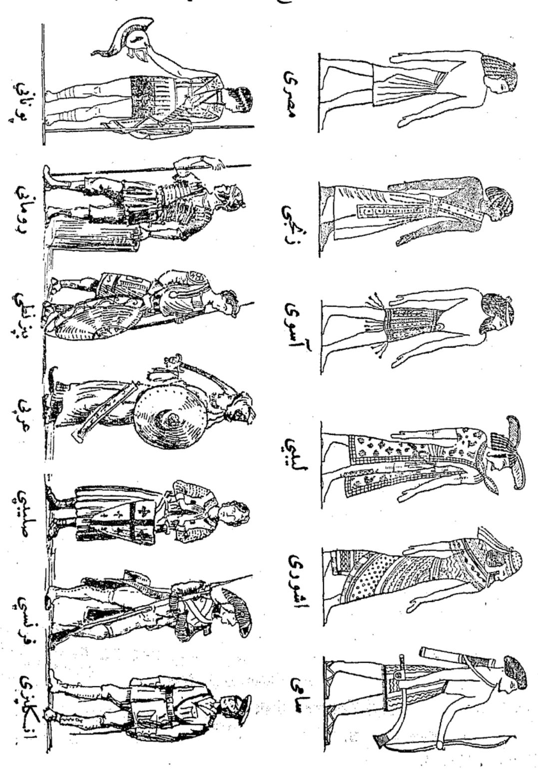
(436) Pendlebury, Egypt and the Aegean... a, p. 90.

(437) Hall, The oldest civilisation of Greece... a, p.185.

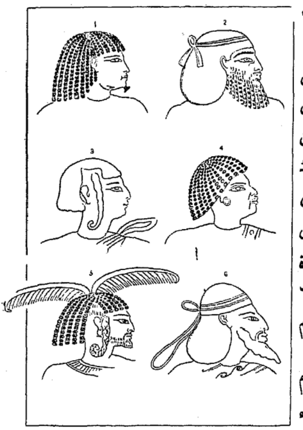
(438) Moret, Des clans... k, p. 339. Cf. Dussaud, Les civilisations préhelléniques... b, p. 249.

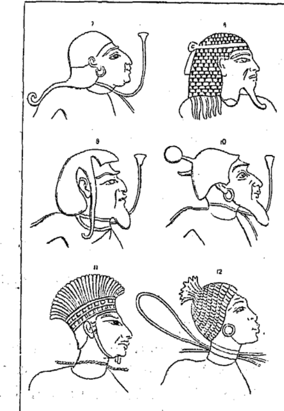
(439) Lettres de Tell el Amarna, winckler, No. 11 et 12, Bezold, No. 6.

أهم الاجناس الذين أتوا مصر
(نقلا عن كتاب تاريخ الامة المصرية لهانوتو)



نقلا عن Poole (R. S,) The E. classification of the Races of Man





اللوحة العليا حرف (ا) ١ــ٦
اللوحة السفلى (ب) ٧ ــ ١٢
ارقام ١، ٢، ٤، ٥ نقلت من قبر سيتى الأول وهى تمثل اجناس البشر الاربعة ورقما ٣، ٦ اخذا عن رسوم وجدت فى قبور بعض الملوك
رقم (ا) صورة رأس مصرى وبشرته حمراء ورقم ٢ صورة سامى وبشرته صفراء ورقم ٤ صورة عبد وبشرته سوداء ورقما ٥، ٦ صورتا سكان الشمال وبشرتهم بيضاء .
وفى لوحة حرف (ب) رسوم منقولة عن مناظر تمثل هؤلاء الاجناس وتمتاز صور المصريين باللحية الصغيرة وشعر شواربهم ورؤوسهم اسود مجعد ورقم ٨ يمثل واحدا من كوش (المنطقة المجاورة لبلاد العرب القبلية) ورقم ٣ رأس غريبة تشبه الرأس المصرى بدون لحيــة وذات ضفائر طويلة ورقم ٥ صورة الجنس الليبى الشمالى عــلى رأسه ضفائر وريشتان من النعام وشعره مجعد ولحيته وشاربه صغيرتان ورقم ٦ رأس شخص من سكان الشمال ورقم ٩ من الجنس الليبى ورقم ١١ يختلف قليلا عن رقم ٩ ورقم ٧ رسم احد من الحيثيين



ثورة أمنوفيس الرابع



التجربة الاولى للتبادل الدولى

بلغت مصر بدهاء تحوتمس الثالث ونبوغ أمنوفيس الثالث مركزاً تفتخر به على جميع ممالك الشرق .

فتمتعت فى خلال هذا المجد الزاهر هيئة أكليروس أمون ، بغبطة وثروة ، ولم تقف مطامعهم عند حد وجعلوا لأنفسهم افتياتا فى الرقابة على أعمال فرعون

وفى عهد الملكة حتشبسوت كان النبى الأول لأمون ، يسيطر على الطبقات الأربعة أنبياء الأله ، وعلى أمثالهم فى معابد الوجهين « القبلى والبحرى » كأنه صار البابا فى مصر ، ويدير جميع الأملاك الواسعة ، التى كانت للآلهة والمعابد وكانت زوجة رئيس الكهنة فى طيبا تلقب سرية أمون الكبرى وتنافس زوجة الملك فى الطقوس الدينية (كالنبى الذى كان يدخل قدس الاقداس نيابة عن الملك) (٤٤٠)

أراد الملكان « تحوتمس الرابع وأمنوفيس الثالث » أن لا يكونا تحت وصاية كهنة أمون ، وقصدا التقرب من كهنة هليوبوليس ، وكانت نتيجة ذلك مخجلة لهما . (٤٤١)

---

(440) Moret, La Nation.. m, p. 427.

(441) Cf. Stèle 826 du British Museum. Pierret, Recueils relatifs.., 1870, I, p. 70.—Moret; Le Nil.. I, p. 368-370.—Inscription gravée sur un panneau d'une boîte British Museum, No. 38272.—Glanville, Some notes on material... c, p. 5.

وتصادف أن أمنوفيس الرابع الذى كان عمره ١٣ سنة ، تقلد الملك بعد أبيه ، ووجد هذه المغامرة ضد أ كابروس أمون (٤٤٢)

واستمرت أمه (تيبي) مشرفة معه على الحكم حتى بلغ ١٦ سنة فاستقل بالأمر وكان شكل أمنوفيس الرابع الآدمى غير متآلف الاعضاء، فكانت رأسه ذات غلظ ، نسبوه إلى مرض الاستسقاء ، وباقى جسمه كتركيب النساء، ويقولون



الملك اخناتون (والاصل بالمتحف المصرى بالطبقة السفلى بالطرقة الغربية)

(442) Les auteurs ne sont pas tous d'accord sur l'âge d'Aménophis IV lors de son accession au trône. Cf. Sethe : Beitrage zur.. d. Nous avons adopté les dates indiquées par : Weigall The life and time of... d. Voir également du même auteur, The Mummy of... a.



اخناتون وزوجته و بناتهما وفوقهم الاله أتون باشعته الطاهرة (والاصل بمتحف برلين)

إن ذلك راجع لاختلاط دموى فى طبقات أنسابه ، من أرى وسورى ومصرى .

وكانت روحه ذات تعلق بالتقوى والايمان ، والمدارك العقلية . (٤٤٣)

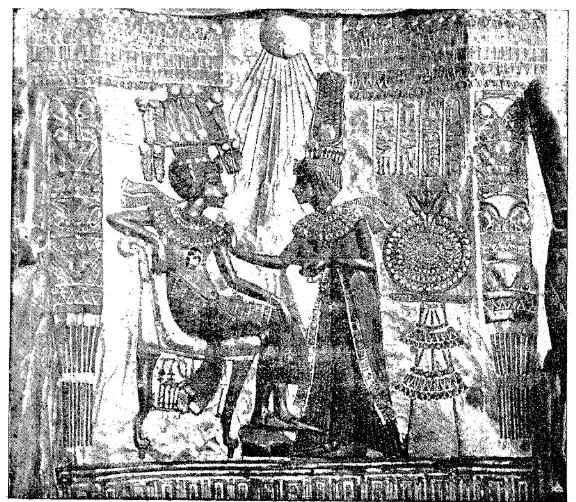
وفى السنة الرابعة من حكمه (٤٤٤) بدأ الاضطهاد مع أ كايروس أمون ، فاغلق معابدهم ، ونفى هيأتهم ، وأطلق عليه أنه المجدد للنظام الدينى .

و بدلا من أمون وتعدد آلهته ، اتخذ لدينـه الجديد « أتون » وسماه « أب الخليقة » وأنه الأله الأحد ، وغير اسم شخصه بلفظ اخناتون (٤٤٥) (أى مجد أتون) واختار تل العمارنة عاصمة جديدة للملـكه وسماها « أختاتون » واستولى لدائرته على أموال كهنة أمون ، وخصص لكهنة أتون جانبا قليلا ، ولقب نفسه النبى

(443) Hanotaux, préface à Moret, La Nation... m, p. XXIX

(444) M. Towers prétend qu'à la lumière des lettres d'El Amarna (Winckler, 16, 17, 18, 19 et 20) on peut affirmer qu'Aménophis IV était monothéiste avant même son accession au trône. Cf. Towers, was Akhenaten.. a, p, 97.

(445) Voir supra, p. 118 et s



توت عنخ امون وزوجه وفوقهما الاله اتون باشعته الطاهرة (والاصل بالمتحف المصرى)

الأول لأتون المكلف بأدارة الأموال الدينية ، ووضع لعقيدته الجديدة أنشودة كالآتى :

وصف ضياء الشمس — : « أنت العالم باسرار الحياة ، تظهر بجمالك فى ا فاق السماء ، تشرق فى الارجاء ،فتملأ الأرض بجمالك ، أنت الجيل العظيم البهى ، الذى تسطع أنوارك على وجه الارض ، وتحيط أشعتك كل أقطارك التى خلقتها وملكتها بحبك ، مهما بعدت عنا فأشعتك مالئة الارض كلها »

وصف الليل : — « حينما تغرب يظهر المسا ، وينتشر الظلام فى الأرض كلها ، فينام الناس فى بيوتهم ، ويندرجون تحت غطائهم ، وتسكن حواسهم عن الحركة ، فلا يسمعون ولا يبصرون ، أنت الذى تحفظ لهم أرواحهم وأموالهم وأمتعتهم،وهم فى مضاجعهم غافلون، ويرخى الليل ستوره، فتخرج

الأسود من عرنها ، وتسكن الطبيعة كلها ، فيستريح خالقها فى أفقه » .

النهار والانسان — « تظهر عظمتك فى الافق صباحا، فتملأ أشعتك أرجاء الارض كلها ، يطلع النهار وينجلى الظلام ، فيفرح الناس بظهورك، ويستيقظون ويتوضئون ويرتدون ملابسهم ، ويرفعون أيديهم الى السماء متوسلين اليك ، ثم يذهبون الى أشغالهم » .

النهار والحيوانات — : « ولما تشرق فى الافق، تستقر المواشى فى مرعاها وتزدهى الاشجار والنباتات ، وترفرف الطيور تمجيداً لك ، وتنهض الحيوانات على قوائمها » .

المياه — « لما تشرق فى الافلاك ، تسبح فى بحارها الافلاك ، وتمرح فى لججها الاسماك ، وتتلألأ أشعتك على صفحات الماء، فما أبدعك وما أسماك »

« أنت الذى خلقت نطفة الأنام ، وصورت منها الأجنة فى الأرحام ، وحفظتهم ووقيتهم الآلام ، ورفقت بهم فى الرضاع والفطام ، ووضعت لهم الحنان فى قلوب الامهات والآباء ،فوفرت عنهم العويل والبكاء، ووهبت الحياة لسائر المخلوقات ، وأطلقت ألسنتهم بالكلام على اختلاف اللغات ، ومنحتهم مايحتاجون من قوت ومعاش ، ومن غطاء وفراش »

« أنت الذى تهب النسمة للفرخ داخل البيضة وتحييه فيصيح ويمشى عند خروجه منها » (٤٤٦)

وفى هذه الانشودة كثير من العبارات المشابهة لمزمور ١٠٤ (٤٤٧)

وفهمنا من ذيوع هذه العقيدة الجديدة ، أنها تنطق بوحدانية الله . (٤٤٨) وأن أتون يعتبر إلها للخلق أجمعين ، وحسناته تشملهم

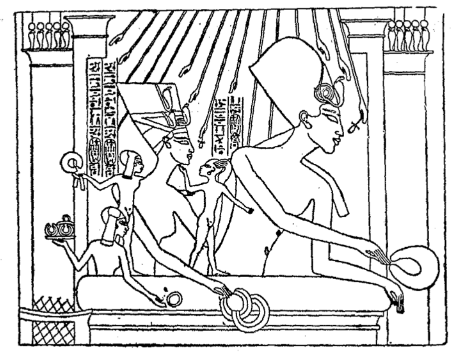
وكانت أفكاره متشبعة كأبيه بايجاد اتحاد سياسى عالمى سلمى بين مصر

---

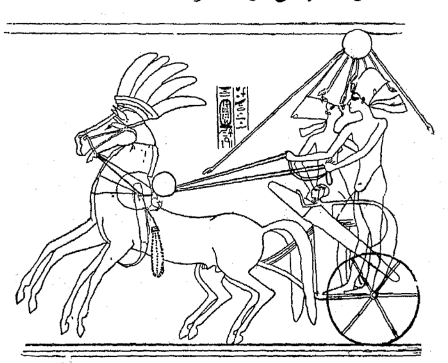
(446) Traduction de M. le Professeur Moret, La Nation.. m, p. 438 s.

(447) Weigall, The life and time.. d, p. 135.

(448) Breasted, A. R. II, s.s 610, stèle de granit du temple de Ptah à Karnak, (actuellement Musée du Caire) En sens contraire : Mercer, Was Ikhnaton.. b.



اخناتون وزوجته و بناتهما ، وفوقهم الاله أتون باشعته الطاهرة . هذا الرسم ماخوذ من قبر (آى) ومنقول عن كتاب (El Amarna VI) والجميع يعطون الهدايا حلقات من الذهب من شرفة القصر .



اخناتون وزوجته وابنتهما على عربة تجرها الخيل ، وفوقهم الاله اتون بأشعته الطاهرة . هذا الرسم ماخوذ من قبر (موحو) ومنقول عن كتاب (El Amarna III)

وباقى الممالك . ومبدأ كهذا لا تكفى فيه التصورات النفسية الفردة (٤٤٩)

وكان يعتقد أن فى استطاعته رفع معبوده أتون فوق درجات جميع الآلهة ، وإيصال الشعوب إلى أعظم ما يتمناه الأنسان من الكمال .

ولم يترك معه أحدا فى انتخاب اسم الأله أتون بدلا من أمون ، لان لفظ أتون بالسامية « ادونيس » ومعناه السيد ، وأن شكله فى الخواص كقرص الشمس » تحت شكلها المادى المنظور أو القريب المأخوذ من الجميع ، حتى منا لأجانب

وقصد أن هذه العقيدة تقرب الشعوب والافراد بدون تفرقة بين أصولهم وألوانهم ولغاتهم ، وتسمى أول تجربة دولية فى نوعها فى العالم كله (٤٥٠)

كما يشير إلى ذلك النص الآتى من أنشودته :

« تفضلا منك خلقت الأرض والسموات ، وأبدعت جميع المخلوقات ، وأعمالك لا تحصى ، وإحساناتك لا تستقصى »

« أنت الذى خلقت البلاد الاجنبية وسوريا واثيوبيا ووادى النيل ، وخلقت كلا منها فى موقعها ، وسخرت لها حاجاتها ومنافعها ، وخصصت لكل إنسان خاصياته ، وحددت له أيام حياته ، أنت الذى خلقت الشعوب مختلفة الاجناس واللغات والالوان والصفات »

« أنت الذى خلقت النيل لحياة أبنائه وأنعشتهم بعذوبة مائه ، أنت الذى تسوق الارزاق للبلدان القاصية وتنزل الامطار على جبالها هامية ، فتنحدر المياه الى الحقول والبلاد لخصبها وترويتها ، ما أجلك يارب الازل ! وما أجمل أوامرك العالية ! » .

« أنت الذى قسمت السنة فصولا لمصالح خلقك ونظام حياتهم ، قد ارتفعت فى علو سمائك لتبرز منها أشعتك ، وترى منها ملكوتك ، أنت وحدك

---

(449) Cf. Julien Benda, Créons des mythes et des héros européens. Europe Nouvelle, 18 février 1933

(250) Breasted, The earliest Internationalism.. i En sens contraire Wolff. Vorlaüfer der Reformation Echnaton's..

الذى تشرق تحت كنه الشمس الحيـة المضيئة البارزة أشعتها . قـد خلقت الارض لأبنائك ومتى أشرقت علينا تشخص العيون لجمالك » (٤٥١)

وفى هذه الانشودة كان يدعو النـاس إلى التحابب والتآلف ليعتبروا من حولهم إخوة لهم ، ولو كانوا أجانب عن مصر ، ويسعى فى ترقية المدارك العقلية حتى لا يكون هناك تفاوت بين رعاياه و بين باقى ملوك آسيا

وصادفت فكرته هذه (٤٥٢) ، ومقاصده الشريفة ، تأثيراً نافعا فى عقلية الشعب الذى كان فى ذلك الوقت مشوقا لتلقى الحقائق (٤٥٣)

واستمر فى حكمه خمسة عشر سنة مولعا بتلك الافكار ، ولم تستقر كما يريد فى أذهان وعقائد الشعب ، الذى عانى الاضطراب والتزعزع حتى أصيب أخناتون بمرض غريب شوه آثار وجهه ، وزاد فى ضخامة جسمه ، وعجز عن مباشرة أعماله

---

(451) Traduction de M. Moret, La Nation.. m, p. 440. Voir également la traduction de Sethe ap. Schaefer, Amarna in Religion.. j, p. 63-70.

(452) Sur Aménophis IV-Akhounaton, voir également : Schaefer, Die angeblichen., d.—Budge, Tutankhamon, Amenism. d,—Asselberg, Ein merkwürdiges.. b; Aménophis IV... a—Sethe. Beitrage zur Geschichte..—Griffith, Excavations. . e et g.— Griffith, Akhenaten and the Hittites..

(453) Par son réalisme l'art d'El Amarna est à rapprocher de celui du scribe accroupi de l'époque du Musée du Louvre ou mieux de Gheikh el Beled, la pièce capitale du Caire. On comprend donc que deux savants auteurs se soient trouvés d'un avis opposé quant à la date d'un buste du Musée du Louvre que, M. Boreux attribue à la VIe dynastie tandis que M. Hall lui assigne l'époque d'Akhounaton, soit 15 siècles d'écart (Hall, J. of E. A., t. XIV, 1928, p. 201). Peut-être que cet art d'Akhounaton est un des aspects du rythme éternel des arts que M, André Maurois signalait encore récemment : « classicisme—faux classicisme — romantisme faux-romantisme — classicisme.. Pendant les siècles des siècles» Cf. Andre Maurois, Fragment d'un journal, 1932, p. 49. Sur l'art d'El Amarna, cf. : Schaefer, Kunstwerke aus der... b, Altes und Neus zur... c, Aegyptische und heutige... h.

ونشر عقيدته ، ومات عن غير عقب ذكر ، وخلفه فى الحكم صهراه ساعكارع وتوت عنخ أمون ، والاول كانت مدة حكمه سنتين ، والثانى ست أو سبع سنوات . وفى أوائل عهده رجع إلى عبادة أمون سواء طوعا أو كرها (٤٥٤)

واشتغال أمنوفيس الرابع بالرغائب الدينية واستمالة الناس إلى غرضه ، لم يساعده على الاشتغال بشئ نافع فى الاحوال السياسية الخارجية للبلاد ، ولذلك خرج عن طاعته أغلب ولايات آسيا التى كانت خاضعة للسيادة المصرية (٤٥٥)

(454) Moret, Le Nil... I, p. 38.

(455) Hall, Egypt and the external world... h.



صورة لافلاطون (والاصل محفوظ اليوم بالفاتيكان بروما) (نقلا عن كتاب A. Hekler, Greeck and Roman Portraits)



كلمة ختامية

كانت مصر اذن حكومة اشتراكية

منذ ٣٥٠٠ سنة

اجتهدنا فى أن نسبر ميزانيـة الحياة الاقتصادية فى مصر فى عهد الأسرة ١٨ ، وأن نفحص جميع أنواع المستندات من أوراق بردية ونقوش ورسومات وغير ذلك ، ولـكن لأمر ما امتنعت عن اتمام ما اعتزمته ، مع أنه ترتب على تركه خلل عرفت قيمته .

لم نصل فى بحوثنا إلى معرفة أن مسألة حق الوراثة فى عهد الأسرة ١٨ الفرعونية ، كان لها قانون متبع أو نظام خاص . وكل مادلتنا عليه البحوث أن نقل ملـكية الأراضى والوظائف والصنائع وما ماثلها ، لا يمكن أن تتم إلا بتصريح صريح من الادارة الفرعونية ، إذ أنها خاضعة لقانون التسجيل الذى يوردون كل هذه الاعمال فى التعداد الدورى

وهذا النقص القانونى يمنعنا أن نحكم بأى حكم على النظام الاقتصادى لمصر فى عهد الاسرة ١٨ ، لانه مهما كانت قوانين الوراثة ، فأن فرعون أو الحـكومة كان يحتفظ لشخصه بملك جميع الاراضى والوظائف والصنائع .

كانت الادارة الفرعونية تعطى الشعب المصرى ، ما يتطلبه من الاراضى والوظائف والصنائع ليستغلها تحت مراقبة رئيس العائلة المسئول وحـده أمام الادارة الفرعونية .

وقد وضع لهذا الاستغلال قانون دقيق جدا يضمن المحصول الكفيل بسد حاجات الاهالى ، و بنسبة الايراد تحصيل الحكومة على دينها الذى فرضته مقابل الاستغلال ، ومنه يدفع أجور المستخدمين

وقد كان كل شئ من تحصيل المحاصيل وتوزيعها حتى دور الثروات تابعا للحكومة الفرعونية ، اذ أنها كانت محتكرة لنفسها التجارة الخارجيــة وإرادات النقل البحرى والنهرى

فنحن الآن أمام حكومة اشتراكية حقيقية ، تتجلى فيها العدالة لأول مرة فى التاريخ (٤٥٦)

وهذه العدالة السائدة بينهــم تنطق بها أنشودة لأزوريس يرجع تاريخها إلى منتصف الاسرة ١٨ و إليك نصها « كما أن الارضين (كناية عن مصر) فى سلام ، فالشر يهرب ، والجنايات تبتعــد ، والأرض سعيدة فى عهد سيدها (ازوريس) والعدالة تأسست لسيدها ، والظلم ألقى خلف الظهر » (٤٥٧)

بعد مضى ألف سنة على ذلك التاريخ (تاريخ أخناتون) كوّن أفلاطون جمهوريته ، فاتخذ العدل والسلام أساسا للاسم الاشتراكى الشامل لها .

وبهذا يمكننا أن نقيم الموازنة بين أنظمة مصر وتعليم أفلاطون الخاص بتعميم الملكية الخصوصــية ، ولـكنها ملكيــة وقتية فقط ، إذ من تعاليمه محصول الحصاد يجب أن يقسم على كيفيات محدودة (٤٥٨)

ومن المعلوم أن أفلاطون كان تلميــذاً لسقراط الفيلسوف وأنه قد جاء إلى

---

(456) Voir supra, p. 54,

(457) Stèle du Musée de Louvre publiée par Chabas. Bibliothèque Egyptologique, t. IX, p. 95 Traduit par M. le Professeur Moret, Le Nil.. I, p. 113 Cf, également Erman, Die Literatur der Aegypter.. b. 1923 p. 187

(458) Cf. René Gonnard, Histoire des doctrines économiques t. I, de Platon à Quesnay. p. 20 à 38, 1924

مصر ، وقرأ تاريخ هيرودوت ، ودرس نظامات مصر الفرعونية . فلابد أن هذه الدراسة كان لها الاثر الفعال فى تكوين أفلاطون تكوينا اقتصاديا ، وكذا خلقت له عقيدة امتاز بها عن أغلب الاقتصاديين مثل (مور - واراسم - ومبلى) وغيرهم . ويمكنا أن نستنتج أنه لم يبق بين العقيدة الحالية للحكومة الاشتراكية والمبادئ الاقتصادية للأسرة ١٨ الفرعونية إلا خطوة واحدة من التأثير المجهول .

أسس (لست) كل نظريته الاقتصادية على المقارنة بين المصالح المتوالية التى وحدها تهدى الافراد إلى الصالح الدائم للأمة التى يجب على الحكومة حراستها . و (رودبرتس) يلح فى وجوب التوفيق بين المحصول والحاجيات وكفالة العدالة فى تجزئة المحاصيل . (وديبونت هويت) يرى فى الحكومة الانسان الراقى الذى يصاحب الحق ذاته ولا يرى إلا الحق وضميره (٤٥٩)

وأخيرا (ادولف واجنر) ينسب للحكومة التمدن والرفاهية (٤٦٠) ولكن لا يشك أحد فى أن ثلاثة وثلاثين جيلا قبلهم ، كانوا يعيشون فى وادى النيل تحت سلطة ملك مطلق وحكومة اشتراكية أدبية حافل عصرها بالخير العميم .

(459) Dnpont-White, L'individu et l'Etat, 5e édit. 1865
(460) Wagner, Grundlegung, 3e édit. 1893, p. 885



انتهى سنة ١٩٣٥

فهرست ابجدى عام

ت

ث

ج

خ

د

س

ق

ك

ن

بيان الخطأ الواقع في هذا الـكتاب وصوابه

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠	٩	للصناعية	الصناعية
١٤	٣	صريحة	صريعة
١٤	٦	المنشئات	المنشآت
١٤	٢٠	الناصعة	الناطقة
٣٤	١٦	النفسية	النفيسة
٣٥	—	عاحمس	أعحمس
٣٦	٦	فرعرن	فرعون
٣٧		Uter..	Unter..
٤٥	١	بأدارة	عن إدارة
٤٨	—	عاأحمس	أعحمس
٤٩	٢	عاأحوتب	أعحوتب الاولى
٤٩	٢	اعحمس ونفرتارى	أعحمس نفرتارى
٤٩	٣	عاحوتت التانية	اعحوتب الثانية
٥٨		٣٦	٥٥
٦٣	٢٠	افتاحمس	فتاح مس
٦٦	حاشية	١٩٨٢	١٩٢٨
٧٥	١٧	الأطهة	الآلهة
٨٣	—	Der..das	Das.. der
٨٤		»	»
٩١	٥	لـكتروم	الـكتروم
٩٥	٣	الخذف	الخزف
١١٩	٦	المرخوطة	المسخوطة
١٢٧	٩	الاموريين	الامورحيين

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٣٥	٢	تحاتمس	تحوتمس
١٦٤	١٣	منهم	عليهم
١٦٧	٩	عان	عانى

ويضاف فى حاشية صفحة ٥٦ رقم ٨٦ وفى حاشية صفحة ٦٣ رقم ١١٢

(86) Statue de l'architecte en chef Semnut offerte par Thoutmès III pour le temple de Mut à Karnak, Breasted, A. R., II, s.s 349. Statue d'Amenhotep fils de Hapi offerte par Aménophis III, pour être érigée dans le temple d'Amon à Karnak, Breasted, A. R., II, s s 913.

(112) M. G. Lefebvre a relevé dans la hiérarchie du clergé d'Amon plus de 125 grades. Cf. G. Lefebvre, Inscrptions des Grands Pretres... b.

فهرست الكتاب

صفحة

الجزء الاول

الأنظمة المصرية فى عهد الأسرة ١٨ الفرعونية

الجزء الثانى

صحيفة

الفصل الثانى

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس


Bibliotheca Alexandrina
0415864